التشيع والشيعة

راجعه وصححه وحقق نصوصه وعلق عليه

ناصر بن عبد الله القفاري

سلمان بن فهد العودة

أحمد عبد العزيز..

التشيُّع والشِّيعَة

عالم إيراني شيعي الأصل يكشف حقيقة مذهب (خميني) وطائفته

مما ألفه

أحمد الكسروي

قتل سنة ١٣٢٤هـ

« لم يظهر في عالم الشيعة أحد في عياره
منذ ظهر اسم شيعي على وجه الأرض »

راجعه وصححه وحقق نصوصه وعلق عليه

ناصر بن عبدالله القفاري   سلمان بن فهد العودة

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تشتمل على :

١ - ترجمة مختصرة المؤلف .

٢ - عرض عام للكتاب وموضوعاته .

٣ - عملنا فى إخراج الكتاب

١ - المؤلف

هو أحمد مير قاسم بن مير أحمد الكسروى ، ولد فى تبريز عاصمة أذربيجان ، أحد أقاليم إيران ، وتلقى تعليمه فى إيران ، وعمل أستاذًا فى جامعة طهران ، وتولى عدة مناصب قضائية ، وتولى مراتٍ رئاسة بعض المحاكم فى المدن الإيرانية ، حتى أصبح فى طهران أحد كبار مفتشى وزارة العدل الأربعة ، ثم تولى منصب المدعى العام فى طهران . وكان يشتغل محررًا لجريدة [برجم] الإيرانية ، وكان يجيد اللغة العربية ، والتركية ، والإنجليزية ، والأرمنية ، والفارسية ، والفارسية القديمة (البهلوية) .

وله كتب كثيرة جدًا ، ومقالات منتشرة فى الصحف الإيرانية .

وكانت مقالاته القوية التى يهاجم بها أصول المذهب الشيعى ، قد جذبت نظر بعض المثقفين ، والجمعيات العاملة فى البلاد إليه ، وأقبل عليه فئات من الناس من كل أمة ونحلة ، ولاسيما الشباب - من خريجى المدارس - فأحاط به آلاف منهم ، وقاموا بنصرته ، وبث آرائه ، ونشر كتبه .

ووصلت آراؤه بعض الأقطار العربية ، وهى الكويت ، وقد طلب بعض الكويتيين من الكسروى تأليف كتب بالعربية ليستفيدوا منها ، فكتب لهم هذا الكتاب (التشيع والشيعة) ، والذى أوضح فيه بطلان المذهب الشيعى ، وأن

جماعة المسلمين بعقائدهم وأحكامهم .

وهذا عرض مختصر لمحتويات الكتاب ، نرجو ألا يكون حائلا بين القارئ وبين قراءة الكتاب نفسه بأسلوب المؤلف الخاص القوى .

يرى الكسروى أن الرافضة قد انحرفوا بالتشيع إلى الغلو فى حب على ، ومعاداة أبى بكر وعمر وعثمان بدعوى أن عليًا كان أحق بالخلافة منهم ، وكان هذا الانحراف يشتد بمرور الزمن ، وكان التشيع يتطور من جهاد سياسى إلى عقائد مفرطة[1] .

ويتحدث عن غلو الشيعة فى أئمتها ، وآثار هذا الغلو فى انفصال الشيعة عن المسلمين ، واستقلالهم بعقائدهم وأحكامهم الخاصة[2] .

ويذكر أن شذوذهم هذا دفعهم إلى وضع أحاديث عن النبى ﷺ ، وتأويل آيات من القرآن ، وتحريف أخبار الوقائع[3] .

ثم يتحدث عن دعوى الشيعة غيبة إمامها الثانى عشر ، ويبين بالأدلة القوية العقلية والتاريخية أن تلك خرافة ، ويقول إن التعصب كان قد أعمى قلوب الشيعة[4] .

ثم يذكر كتبهم المعتمدة ، والموضوعات التى تهتم بها .

وبعد هذا يعقد بابًا كاملًا يضمنه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : بطلان مذهب التشيع من أساسه .

الفصل الثانى : فيما اشتمل عليه من الدعاوى الكاذبة .

الفصل الثالث : فيما نتج عنه من الأعمال القبيحة .

ـ يذكر فى (الفصل الأول) أن من أسس مذهب التشيع (الإمامة) ، ويقول : « إن الإمامة بالمعنى الذى ادعوه دعوى لا يصحبها دليل ، فلسائل أن

(١) الكتاب ص ١٧ .

(٢) نفسه ص ٢١ .

(٣) ص ٢٥ .

(٤) ص ٣١ .

يسأل : لِمَ لَمْ يُذْكَر أمر عظيم ـ كهذا ـ فى القرآن وهو كتاب الإسلام ؟ » .

ثم يذكر أهم ما يتعلقون به من أدلة حول النص على إمامة على ، ويبطل هذه الأدلة المزعومة بحجج عقلية باهرة من أنواها اتفاق الصحابة على بيعة أبى بكر فى السقيفة ، ولو كان النبى ﷺ نص على علىّ لما خالفوه ، أما دعوى الرافضة ارتداد الصحابة فيقول الكسروى : « إن هذا اجتراء منهم على الكذب والبهتان ، فلقائل أن يقول : كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبى ﷺ آمنوا به حين كذبه الآخرون ، ودافعوا عنه ، واحتملوا الأذى فى سبيله ، ثم ناصروه فى حروبه ، ولم يرغبوا عنه بأنفسهم .

ثم أى نفع لهم فى خلافة أبى بكر ليرتدّوا عن دينهم لأجله ؟ فأى الأمرين أسهل احتمالاً : أكذب رجل أو رجلين من ذوى الأغراض الفاسدة ؟ أو ارتداد بضع مآت من خلّص المسلمين ؟ فأجيبونا ـ إن كان لكم جواب ! ـ »[1] .

ـ وفى (الفصل الثانى) يتحدث عما اشتمل عليه التشيع من الدعاوى الكاذبة ، مثل : دعوى تفويض الأمور للأئمة ، وأنهم يعلمون الغيب ، وادعاء المعجزات لهم ، ودعوى أن الشيعة من طينةٍ خاصة ، ويناقشها بمنطق قوى ، فيقول مثلاً :

« ومن الأحاديث المعروفة عند الشيعة (حب على حسنة لا يضر معها سيئة) وأنتم ترون أنها تخالف القرآن حيث يقول ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره ﴾ مخالفة صريحة ، ثم أليس هذا نسخًا للدين ؟ إن كان حب على لا تضر معه سيئة فأىّ حاجةٍ إذًا لشرع الأحكام ؟ »[2] .

ـ وفى (الفصل الثالث) ذكر ما نتج عن التشيع من الأعمال القبيحة ، وقال : « مما يوجب الأسف أن التشيع فضلاً عن إضلاله الناس ، وسوقهم إلى عقائد باطلة ما أنزل الله بها من سلطان ، قد بعثهم على أعمال كثيرة

---

(١) ص ٦٦ .

(٢) ص ٨٣ .

منكرة ، أعمال تخالف الدين ، والعقل ، والتهذيب ، وتوجب مضار كثيرة من كل نوع .. »[1] .

وذكر من هذه الأعمال الطعن فى أصحاب النبى ﷺ والقدح فيهم ، يقول : « ولهذه القبيحة تاريخ مؤلم طويل ، فإنه مما أصل العداوة بين الفريقين .. ، ولو أراد أحد أن يبحث عن الأضرار الناجمة عن هذه البدعة المشؤومة لاحتاج إلى تأليف كتاب كبير »[2] .

ومنها التقية ، ويقول : « إنها من نوع الكذب والنفاق ، وهل يحتاج الكذب والنفاق إلى البحث عن قبحهما ؟ »[3] .

ومنها إقامة المآتم للحسين ، وما يجرى فيها من ضرب الجسد بالسلاسل ، وجرح الرأس بالسيف ، وصنع الجنائز ، وإقفال البدن وغير ذلك .. ويذكر أن شيوخ الشيعة يروون فى فضلها أحاديث كثيرة ، والحقيقة أنها بدعة فى الإسلام . ومايروون من الأحاديث افتراء على الله ، وهذه الروايات تجرئ الناس على المعاصى ، وتصرفهم عن التقيد بالحلال والحرام ، والاهتمام بأمر الدين[4] .

ومنها عبادة القبب التى يصورها بقوله : « فقد شادوا على قبر كل واحد من أئمتهم قبة من الذهب أو الفضة ، وبنوا مبانى ، ونصبوا خدامًا فيقصدها الزائرون من كل فج عميق ، فيقفون أمام الباب متواضعين ، ويستأذنون متضرعين ، ثم يدخلون فيقبلون القبر ، ويطوفون حوله ، ويبكون ، ويبتهلون ، ويسألون حاجات لهم فهل هذه إلا العبادة ؟ »[5] .

ويرد على جوابهم بأنهم يستشفعون بهم فيقول : « إن الله لا حاجة إلى

---

(1) ص ٨٤ .
(2) ص ٨٥ .
(3) ص ٨٧ .
(4) ص ٨٩ .
(5) ص ٨٩ .

الاستشفاع عنده .. ثم إن هذا الجواب هو عين جواب المشركين فى قولهم كما حكى الله عنهم : ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾[1] .

ب - جوانب تستحق الإشادة :

فى الكتاب جوانب كثيرة من الجدير بالقارئ أن يمعن النظر فيها لما تدل عليه من عمق نظرة المؤلف ، وقوته وشجاعته ، نشير إلى بعضها بإيجاز :

* - فمن ذلك ما يبرز فى الكتاب من إيمان الرجل بالله ، وصحة تدينه ، ونظرته الصحيحة لكثير من قضايا الاعتقاد ، كتوحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، والنبوات .. وغير ذلك ولعل هذا أثر لتعلقه بالقرآن ذلك التعلق الذى يتضح من كثرة استشهاده بالآيات القرآنية على ضلالات الرافضة ، ومن رده لقضية الإمامة بأنها لو كانت حقًا - بالصورة التى يعتقدونها هم - لورد فى القرآن ما يدلّ عليها ، وذلك لخطورتها وعظم شأنها فى دين الرافضة . .

بل إنه يذكر فى بعض قصصه ومناظراته أنه كان يتلو بعض سور القرآن[2] ، وذلك فى مناظرته مع أحد الشيخين ، وهى مناظرة عميقة الدلالة فى متانة دين المؤلف وقوة حجته .

ولا التفات بعد ذلك لما يرميه به الرافضة من الإلحاد ، فقد ذكر هو فى الكتاب هذا أنه حينما أنكر عليهم زيارة المشاهد ، وبذل الأموال الطائلة فيها وصفه أحد علمائهم بأنه لا دين له ![3] .

وقد أنكر المؤلف كثيرًا من الضلالات الرافضية كزيارة المشاهد وعباده القبب والقبور ، وشد الرحال إليها ، والطواف حولها ، والبكاء ، والتضرع ، والتوسل بالموتى .

وأثنى على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأنها أثرت فى طوائف

---

(١) يونس آية ١٨ .

(٢) ص ٧٦ .

(٣) ص ٩١ .

المسلمين كلهم غير الروافض ، فإنهم لم يكترثوا بما كان ولم يعتنوا بالكتب المنتشرة والدلائل المذكورة أدنى اعتناء ، ولم يكن نصيب الوهابيين منهم إلا اللعن والسب كالآخرين »[1] .

* — ومن الجوانب البارزة فى الكتاب بروزًا تامًا براءة المؤلف من دين الرافضة ، وإنكاره له ، ونعيه على متحليه فهو يسميهم : الرافضة ، أو الروافض فى أغلب المواضع ، حتى قال : ولكى يزيد القارئون بصيرة فى أمر هؤلاء الروافض آتى هنا بخلاصة منها (يعنى من أسطورة الأسد)[2] .

ويقول : (التشيع ليس إلا طريقًا للضلالة والعوج ، وهؤلاء (يعنى الأبواب) ليسوا إلا ملومين ، يستحقون الذم !)[3] .

ويصف النواب وغيرهم من مقدمى الشيعة بأنهم كانوا ضعفاء الإيمان بالله ، والنبى ، ودينه ، ويستدل على ذلك باجترائهم على الله والدين ، وجعل الأكاذيب ، وتأويل الآيات ، وتحريف الأخبار ، وإنكار المشهودات ، وإحداث البدع ، وشق عصا المسلمين ، وأخذ الأموال المحرمة من الناس ، وتهارشهم عليها ![4] .

وينكر على الأئمة المزعومين عدم مجاهرتهم بحقهم المدعى ، ويخاطب الرافضة قائلا :

(إن كان إمامكم لم يقر بحقه ، ولم ينل الخلافة ، فكيف كان يتسمى بالخليفة ؟ ويدعو أناسًا إلى طاعته ، صارفًا إياهم عن طاعة الخلفاء المعاصرين ؟ ألم يكن هذا منه شقًا لعصا المسلمين ؟ ألم يكن هذا هدمًا لأساس الدين ؟[5] .

وينتقد الشاه إسماعيل الصفوى الذى أجرى من دماء أهل السنة أنهارا[6] .

---

(١) ص ٨٩ .
(٢) ص ٧٩ .
(٣) ص ١٣ .
(٤) ص ١٣ .
(٥) ص ٦٩ .
(٦) ص ١٢ ، وص ٨٥ .

وهذا يوضح ميل المؤلف الصريح لأهل السنة ودولتهم ، وانتقاده صرف زعماء الشيعة للناس عن طاعة خلفاء الإسلام ، وشقهم العصا ، وتفريقهم الكلمة ، وهدمهم الدين .

ويصف الرافضة بالكفر والإلحاد ؛ لأنهم أفرطوا فى إسباغ الأوصاف الخيالية على أئمتهم المزعومين[1] ، ويقول : « نحتاج إلى كلام طويل لنوضح ضلال هذه الطائفة عن الدين ، وتوغلهم فى الكفر »[2] .

وهو أخيرًا يخاطب الرافضة خطاب البرىء منهم ، الخارج من جملتهم ، ومن ذلك قوله عن (كريم خان) : « إنه يضرب السكة باسم إمامكم »[3] .

٥ - ومن الجوانب البارزة عناية المؤلف بالنقد العقلى لأصول الرافضة وبيان ما هو الحق ، وهو مبرز فى هذا بشكل ظاهر ، وإليك هذه الأمثلة المتفرقة .

- إن العوام لا يحسبون من الله إلا كل أمر خارق للعادة ، أو شاذ لا يقع إلا نادرًا ، فترونهم يرون الأشجار قد ازدهرت فى الربيع فلا يتعجبون ، ولا يحسبونه من آثار قدرة الله ، ولكن إن ازدهرت شجرة فى الخريف أخذتهم الهزة ، فترونهم يحركون رؤوسهم ، ويقولون : انظر إلى قدرة الله ![4] .

- إنكاره أن يتبرأ النبى ﷺ من علم الغيب ، ويدعيه هؤلاء ![5] .

- فى المناظرة البديعة التى جرت له مع رجل من علماء الشيخية ممن ينسبون إلى على دعوى التصرف فى الكون فقال له المناظر : « أتكذّب عليًا ؟ فرد المؤلف : لابد لنا من أحد أمرين : تكذيب علىّ ، أو تكذيب البرسى ، فاختر أيهما شئت ! »[6] .

---

(١) ص ٤٩ .

(٢) ص ٩٢ .

(٣) ص ٤٢ .

(٤) ص ٧١ .

(٥) ص ٧٨ .

(٦) ص ٧٦-٧٧ .

- ماذا كان يفعل الإمام الغائب بالمال ، وهو معتزل عن الأمور لا يقوم بها ؟[1]

- إذا كان الأئمة المستورون حججا لله على خلقه ، فكيف يكونون كذلك وهم مستورون لا يعرفهم الناس ؟[2]

- لماذا لم يظهر المهدى فى بعض الفرص المواتية ، عندما استولى آل بويه على بغداد ؟ ثم عندما قام إسماعيل الصفوى ؟ ثم عندما كان (كريمخان) يضرب على السكة اسم صاحب الزمان ؟![3] .

- وفى دعوى النص على الخليفة يقول : « إن كنتم تحادثوننا عن الإسلام فأتوا بدليل منه ، وإن كنتم تحادثوننا عن آرائكم فصرحوا به ! »[4] .

- وفى الرد على دعواهم وصية النبى ﷺ عند موته لعلى يقول : « ليت شعرى هل كان النبى ﷺ لا هم له إلا ذكر على ، وسوقه إلى الخلافة من بعده ؟ ثم يقول : والرزية كل الرزية أن يسند ناس ذرو أهواء إلى الله ورسوله كل ما يهوون ! »[5] .

* - ونرى ضرورة الإشارة الخاصة إلى احترامه لأصحاب النبى ﷺ ، - على سبيل العموم - ونقده الرافضة لوقيعتهم فيهم نقدًا قويا .

- وقد تحدث فى موضوع خاص ضمن الأفعال القبيحة الناتجة عن التشيع عن (القدح فى أصحاب النبى ﷺ) ، وذلك فى الفصل الثالث .

- وقد اعتبر المؤلف زعم الشيعة بأن أبا بكر وعمر من المنافقين من الوقاحة[6] .

---

(١) ص ٤٣ .

(٢) ص ٦٢ .

(٣) ص ٤١ - ٤٢ .

(٤) ص ٦٨ .

(٥) ص ٧٠ .

(٦) ص ٤٧ .

ـ وقال إن من فظائع الشاه إسماعيل الصفوى بعثه الناس على ثلب أصحاب النبى ﷺ[1] .

ـ ودافع عن عمر وما قاله ساعة موت النبى ﷺ .. ، وقال : « فأى ذنب أتى عمرُ حتى يرتدّ أو ينكشف كفره ونفاقه ؟ »[2] .

ـ ومن جميل كلامه فى هذا قوله : « وأما ما قالوه عن ارتداد المسلمين بعد موت النبى ﷺ إلا ثلاثة أو أربعة منهم ، فاجتراء منهم على الكذب والبهتان ، فلقائل أن يقول : كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبى ﷺ ؟ آمنوا به حين كذبه الآخرون ، ودافعوا عنه ، واحتملوا الأذى فى سبيله ، وناصروه فى حروبه ، ولم يرغبوا عنه بأنفسهم » .

ثم أى نفع كان لهم فى خلافة أبى بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله ؟ فأى الأمرين أسهل احتمالًا : أكذب رجل أو رجلين من ذوى الأغراض الفاسدة ؟ أو ارتداد بضع مآت من خلّص المسلمين ؟[3] .

ومع هذا الموقف المشرف الذى يشاد به إلا أن للمؤلف طعنات ووخزات لى بعض الأصحاب تأتى الإشارة إليها فى الموضوع التالى .

جـ ـ استدراكات .. وملحوظات :

لا يخلو الكتاب من زلات وأخطاء نابعة من عدم الوضوح العقدى لدى المؤلف لى بعض الجوانب ، وهى فى الغالب نتيجة لتأثره بالبيئة الرافضية من حوله ، التأثر الذى يأخذ اتجاهين :

أولهما : تقبله لبعض تصوراتهم نتيجة كثرة طرقها ، والإلحاح عليها فى مجتمعاتهم ، ومؤسساتهم العلمية ، ومناسباتهم المختلفة ، وذلك كوقيعته فى بعض رجالات الصدر الأول ، ومن بعدهم .

---

(١) ص ٥٣ .

(٢) ص ٧٠ .

(٣) ص ٧٠ .

والثاني : وهو الأغلب الرفض المبالغ فيه لما عليه مدعو التشيع ، ذلك الرفض الذي يعمى فى بعض الأحيان عن تمييز الحق من الباطل ، وقد يكون للأمر أصل فى الشرع فزادت عليه الرافضة من جرابها ما زادت فيرفض المؤلف الأمر كله ، وهو ما يسمى بـ « ردة الفعل » .

كما أن غيبة بعض المصادر الصحيحة التى يمكن التلقى عنها جعلت المؤلف يعتمد على معلوماته الناقصة ، أو آرائه الخاصة .

ومن هذه الملحوظات :

- لمزه لبعض الصحابة المشاركين فى الحروب الدائرة بين المسلمين ، خاصة ممن كانوا فى الطرف الآخر المواجه لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد يفسر دوافعهم تفسيرًا جاهليًا ، وينقل بعض الروايات عن على رضى الله عنه فى الطعن فيهم ، وهى روايات مختلقة . ومن ذلك طعنه فى طلحة ، والزبير ، وعائشة ، ومعاوية – رضى الله عنهم أجمعين[1] .

- نقده لرجالات الإسلام الذين ادعتهم الرافضة ، وتصديقهم فيما يقولون فيهم مع اعترافه بأنهم كذابون ، يختلقون ما يقولون ، ولا يتورعون عن الدس والافتراء والتزوير .

فهو يطعن فى جعفر ويرى أنه اغتر بأقوال من حوله ، وصار يحسب أن الله قد اختاره لإرشاد عباده ، وأنه حجة الله على خلقه[2] ، وصار يدعى علم الغيب[3] .

ويظن المؤلف أن هذه الدعاوى التى ادعاها جعفر قد ادعاها أبوه من قبل[1] .

---

(١) ص ٨٤–٨٥ وقد تكرر ذلك فى مواضع أخرى .

(٢) ص ١٨ .

(٣) ص ١٨ .

(١) ص ١٩ .

وقد صدّق المؤلف فى ذلك روايات وردت عنهم فى الكافى وبحار الأنوار وغيرهما ، من أبشعها ما وضع على ألسنتهم من أنهم قالوا : « اجعلوا لنا ربًّا نتوب إليه وقولوا فينا ما شئتم »[1] .

وقال عن موسىٰ إنه أعاد سيرة أبيه .

• ومن زلاته ـ عفا الله عنا وعنه ـ إنكار نزول عيسىٰ عليه السلام فى آخر الزمان ، واعتبار ذلك خرافة نزل الدين لإنقاذ الناس منها . وهذه مخالفة لما هو ثابت عند أهل السنة بالنقل المتواتر ، ولما دلت عليه آيات القرآن فى ذلك ، وانظر التعليق عليها هناك[2] .

ومثله إنكاره المهدى ، واعتبار الأحاديث التى وردت فيه أحاديث موضوعة ، وأن الاعتقاد بذلك سرىٰ بين المسلمين عن طريق الشيعة[3] .

وهذا تطرف من المؤلف فى رفض هاتين الحقيقتين سببه ما أضفته عليها الرافضة من التهاويل والمبالغات ، فالمؤلف فى ذلك كمن ينكر الجن لما ألصقته بهم العامة من القصص المنسوجة .

ومن عادة الثائرين من أغلب الأعصار والأمصار أن يكون لديهم من الاستعجال ، ودفعة التمرد والانفعال ، ما يحول بينهم وبين التريث والتثبت والتمييز .

• ومنها إنكاره الاستشفاء بالقرآن الكريم ، وبالأدعية وغيرها ، وقد اعتبر استعمال هذا عصيانًا لله ، وخروجًا عن أمره ، وقال : إن هذه الضلالة قد أودت من الناس ما لا يحصيهم إلا الله[4] .

• ومنها موقفه من قصص الأنبياء ، واعتبارها من المتشابه ، خاصة ما

---

(١) ص ٢٢ .

(٢) ص ٤ وقد تكرر فى موضع آخر .

(٣) ص ٣٦ وقد تكرر أيضًا .

(٤) ص ٤ من المقدمة .

يخالف منها العقول والعلوم – كما يظن هو –[1].

وعلى القارئ لهذا الكتاب أن يضع هذه الاستدراكات وأمثالها مما ند عن البال في موضعها الصحيح، فلا يقبلها أو يطمئن إليها، فالحق أحق أن يتبع، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وأن يدرك الأسباب التي أدت بالمؤلف إلى مثل هذه الآراء الغريبة، والتي من أهمها المجتمع الذي نشأ فيه، والتحدي الذي واجهه، وطبيعة تلك المرحلة من تاريخ الأمة.

بل إن المتأمل يثور عجبه وإعجابه باستمساك المؤلف بالدين، ودعوته إلى القرآن، ورفضه للخرافة، مع أن كثيرًا ممن نشؤوا في مجتمعات رافضية تشيع منها الخرافات والأساطير يؤدي بهم الأمر إلى الإلحاد الكامل والكفر بالدين كله، ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده.

٣ – عملنا في هذا الكتاب :

نلخص عملنا في الكتاب في النقاط الآتية :

١ – إثبات النص كما هو دون أي تعديل سوى ما يتعلق بالآيات القرآنية، أو تصحيح الأخطاء النحوية أو الإملائية لأنها لا تؤثر على عمل المؤلف بحال.

وقد اعتمدنا على طبعة طهران، المطبوعة عام ١٣٦٤ هـ، بمطبعة بيمان، ومنها نسخة محفوظة في مكتبة المدرسة القادرية العامة في بغداد.

٢ – عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في المصحف الشريف، وكتابتها صحيحة إن كان المؤلف أخطأ فيها، وهذا قليل، مع الإشارة إليه في الهامش.

٣ – تخريج الأحاديث، بعزوها إلى مصادرها، والحكم عليها.

٤ – نسبة الأقوال والروايات إلى مصادرها سواء كانت تاريخية، أو من كتب الرافضة، أو غيرها.

٥ – التعليق على المواضع التي تحتاج إلى تعليق وتوضيح.

٦ – الترجمة لما يحتاج إلى ترجمة من الأعلام.

---

(١) ص ٧٤.

٧ ـ إعداد دراسة تشمل المؤلف والكتاب ، وهى هذه .

وهذا الكتاب هو الحلقة الأولى فى سلسلة (دراسات فى الفرق) التى نسأل الله أن يعين على إتمامها ، ويجعل القصد منها خالصا ، إنه جواد كريم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على عبده ورسوله الذى بلغ البلاغ المبين ، وعلى آله وصحبه وأزواجه أجمعين .

المحققان

٢٤ / ٧ / ١٤٠٨ هـ .

هل الاختلاف إلا من التعصب واللجاج ؟

يظن كثيرون أن الناس قد جبلوا على اختلاف العقائد والآراء ولا يمكن حسم الاختلاف من بينهم . ولكن هذا من الظنون الباطلة .

فمما لا ريب فيه أن الحقائق أوضح وأجلى من أن لا يدركها أحد[1] فإن ترك الناس التعصب واللجاج واجتمعوا على طلب الحقائق واتبعوا الدلائل لم يكن بينهم اختلاف فى الحقائق أبدا .

ومما يجب أن يعلم أن المباحث الدينية ليست إلا كالمباحث العلمية . أى يجب فى كلتيهما لكل من يبدى رأيا أن يذكر ما عنده من الدلائل وليس إبداء رأيٍ من غير ذكر دليل إلا من الغباوة والحماقة .

وأما السامع أو القارئ فيجب عليه أن يفكر فيما يسمعه أو يقرؤه ، ولا يبدى أيّ رأيٍ من القبول أو الرد إلا بعد التروى والتبين ، ومن الغباوة أن يعد المخالفة لعقيدته دليلا على بطلان رأى أو كلام ، ويتصدى للمعارضة قبل التروى أو من غير أن يكون له دليل .

ومما يوجب الأسف أن أصحاب المذاهب يعارضون كل ما رأوه مخالفا لعقيدتهم ، وقد صار اللجاج طبيعة ثابتة فيهم ، وهذا هو الذى يوجب دوام الخلاف فيما بينهم وإلا فالحق أوضح وأجلى .

---

(١) فالحق كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية لا يخفى ، وإنما يحصل الاغترار بالباطل بتصويره بصور الحق ، أو خلطه بشيء منه .

بسم الله الخالق الأكبر

١ ـ اعتذار

لهذا الكتاب تاريخ يجب أن نسرده للقارئين :

منذ اثنى عشر عاما قام فى إيران رجل (وهو مؤلف هذا الكتاب) يناضل عن الدين ويجادل الذين يزدرونه من أتباع الفلسفة المادية وغيرهم ، ويدافع عنه حق الدفاع . بيد أنه سلك مسلكا لم يسلكه الآخرون ، فإنه فسر الدين بمعنى بديع ، وقال :

« الدين هو معرفة العالم إلى حد ما يمكن ، ومعرفة حقائق العيش ، واتباع العقل فى كل الأمور » .

وفسر بيانه هذا قائلا :

« إن عيش الناس يمكن أن يكون على أحد وجهين :

١ ـ أن لا يعتنى الناس بمعرفة العالم ولا بمعرفة الحقائق ويتبع[1] كل طائفة سلسلة أخرى من الأوهام ويعيش الناس بأهوائهم فيطلب كل رجل ما ينفعه ولا يعتد بالآخرين فيصر[2] الحياة عراكا فيما بينهم . وهذه هى العيشة الحيوانية .

٢ ـ أن يجدّ كل أحد فى معرفة العالم ، وفى العلم بالحقائق ، ويترك الناسُ أهواءهم ويتبعوا العقول فى أعمالهم وأمورهم ، ويكونوا على بصيرة من الخير والشر ، ويتجنبوا عن كل ما فيه ضرر ، ويعتنى كل أحد بمصالح الآخرين ، كما يعتنى بمصالح نفسه ، ويكون بين الأمم صلات ، وتعتنى كل أمة بمصالح الأمم

---

(١) كذا ، والصواب : تتبع .

(٢) الصواب : فتصير .

الأخرى . فهذه العيشة الإنسانية ، وهذه هى الدين »[1] .

وقال : « إن فى العالم حقائق إن عرفها الناس ، وبنوا عليها حياتهم ، عمت السعادة والرفاه العالم » .

وقال : « قد ضل أصحاب الفلسفة المادية حيث حسبوا الحياة عراكا بين الناس ، والعالم معتركا لهم ، فإن أبناء آدم ليسوا بمضطرين إلى العراك . بل لهم أن يعيشوا بالمعاضدة والمعاونة بدل العراك » .

وقال : « إن الإنسان ذو فطرتين : فطرة النفس ، وفطرة الروح . فالأولى مشتركة بينه وبين الحيوان ، والثانية خاصة بها[2] . (أى الإنسان حيوان ، قد زيدت عليها الفطرة الروحية) . ثم أن لكل من الفطرتين خصالا ومستدعيات

---

(1) هذه نظرة المؤلف ، وهى نظرة غير مقبولة من وجوه :

ا- فالعقل لا يمكن أن يستقل بمعرفة الحقائق كلها ، بل هو محدود بخارق صغير . حتى إنه لا يستقل .

ب- والعقل يوصى باتباع الشريعة المنزلة التى تنظم شؤون الإنسان الخاصة والعامة .

جـ- تفسير « الدين » بأنه « اتباع العقل فى كل الأمور » غير صحيح ، بل « العقل » هو اتباع الدين فى كل الأمور .

د- العناية بمصالح الأمم الأخرى ، ماذا تعنى ؟ إن الإسلام يقرر -بوضوح- عقيدة الولاء والبراء ، وهى حاجز منيع بين المسلمين ، وبين « الأمم الأخرى » حتى يؤمنوا بالله وحده :

ولعل هذا « الرأى الباطل » من الكسروى مصدره « واقع الروافض ومذهبهم » فهو عبارة عن رد فعل لمذهبهم القائم فى غالب مسائله على أمور يجهلها العقل حتى عقد شيخهم الكلينى بابا بعنوان « باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب » وذكر منه خمس روايات [أصول الكافى : 1/401-402] ومثله -من بعده- فعل المجلسى حيث ذكر (116) حديثا من أحاديثهم فى باب عقده بعنوان « باب أن حديثهم -عليهم السلام- صعب مستصعب » [بحار الأنوار : 2/182 وما بعدها] وجاء فى هذه الأخبار « إن حديثنا تشمئز منه القلوب فمن عرف فزيدوهم ، ومن أنكر فذروهم » . [بحار الأنوار : 2/211-212] .

كما يلزمون بالخضوع والتسليم الأعمى لمجتهديهم وآيتهم حتى عدّ شيخهم المظفر من عقائدهم أن الراد على المجتهد رادٌ على الله وهو على حد الشرك بالله تعالى . [انظر عقائد الإمامية ص] .

ولابد أن يرتبط الشيعى بمجتهد يسير وفق قوله ، حتى إنه فى العراق ظل أتباع أحد مراجعهم صائمين بعد إفطار الناس ؛ لأن المرجع مريض ولم يستطع الفتوى لهم بالإفطار . [انظر نقاش مع الخالص] .

(2) كذا ، ولعلها « به » ، أى : بالإنسان ، وكذلك ما بعده : زيدت عليه .

على حِدَتِها ، فمن خصال الفطرة الأولى : حب الذات ، والكبر ، والحسد ، والغضب ، واتباع الهوى ، ومن خصال الفطرة الثانية : العطوفة بالآخرين ، والاهتمام بمصالحهم ، والاغتمام بغمومهم ، وحب العدل والإحسان والعمران ، وكره الظلم والإساءة والتخريب وغير هذه ».

وقال : « إن الفطرتين تنافس إحداهما الأخرى وتعارضها ، وهما ككفتى الميزان ، إن ارتفعت هذه نزلت هاتيك ».

ومعنى هذا القول أن كل إنسان إن قويت فطرته الروحية ، غلبت على فطرته النفسية وجعلتها تحت حكمها فازدادت محاسنه وصلحت أخلاقه ، وإلا انعكس الأمر . والنتيجة المطلوبة أن كل إنسان يحتاج إلى تقوية فطرته الروحية ، وأساس هذه التقوية هى معرفة الحقائق ، وإن شئت فقل هى الدين .

ومن أعماله أنه استدل على وجود الله تبارك وتعالى بدلائل علمية قوية ، وعارض الماديين معارضة شديدة ، وخلاصة أقواله أننا نرى فى هذا العالم نظاما وحكمة يمنعنا العقل أن ننسبها إلى العالم نفسه ، ولا يمكننا أن نحسب العالم مستقلا ليس وراءه شىء .

وله فى معنى الروح والعقل والاستدلال على وجود الله والرد على أصحاب الفلسفة المادية مقالات كثيرة ، ورسالات عديدة .

ولقد بحث عن الإسلام غير مرة فى رسالاته ومقالاته ، ومن أقواله أن الإسلام اثنان : الأول : ما أسسه النبى العربى قبل ألف وثلاثمائة وخمسين عاما ، ودام قرونا . والثانى : ما هو اليوم بين المسلمين ومتلوّن عند كل طائفة بلون آخر[1] .

فكلا هذان[2] يسميان إسلاما والحق أن هذا غير ذاك ، بل الحق أن هذا يناقض ذاك .

---

(١) الإسلام واحد ، وهو ما أنزله الله على نبيه ﷺ قبل ألف وأربعمائة سنة ، وأما ما يخالف ذلك مما وقع فيه الناس ، أو انتشر بين الطوائف فلا يسمى إسلاما ، ولو كان الذين يفعلونه من المسلمين .

(٢) الصواب : هذين .

فإن الإسلام الأول كان دينا طاهرا إلهيا يدعو الناس إلى توحيد الله ، وترك عبادة الأوثان ، ويحرض الناس على التعقل والتفكر ومعرفة سنة الله فى خلقه . وهذا الإسلام (وإن شئت فقل : هذه المذاهب المشتتة) قد بعث الناس على عبادة الموتى ، وزيارة القبب ، واتباع الأوهام ، وألهاهم عن التعقل والتفكير ، ومعرفة سنة الله .

إن الإسلام الأول ألف بين العرب ، وصيرهم أمة واحدة ، وأبلغهم ذرى المجد والعلى ، وهذا الإسلام قد فرق الناس إلى فرق ، وأوجد بينهم العداوة والبغضاء ، وأنزلهم إلى دركات الذل والهوان .

ومن آرائه فى الدين أن الناس كما يجب عليهم العلم بالله يجب عليهم العلم بسنته فى خلقه واتباعها فى أمورهم وأعمالهم ، والانصراف عن كل ما يخالف سنة الله .

وقد شرح قوله هذا شرحا مفصلا وكان مما قال : إن بعض الناس إذا مرضوا يستشفون بالدعاء أو بالقرآن ، فترونهم يكتبون الدعاء ، أو الآية ، ويعلقونها عليهم ، أو يقرءون الدعاء أو الآية ، وينفخونها فيهم ، ويعدون ذلك من علائم استحكام الإيمان .

والحال أن ذلك عصيان لله ، وخروج عن أمره ، فإن الله قد جعل لكل داء دواء وقدر شفاء الأمراض فى المداواة ، ومما لم يكن ولن يكون شفاء مرض بالدعاء ، وكلما يروون من الحكايات فى هذا الباب فمن المجعولات ، والحق أن هذه الضلالة قد أودت من الناس ما لا يحصيهم إلا الله[1] .

---

(١) إن ما يقرره المؤلف هاهنا يتعارض مع المنهج الشرعى الاتباعى ، فالقرآن شفاء من كل وجه ، قال تعالى ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ [الإسراء : ٨٢] قال ابن القيم رحمه الله : « والصحيح أن « من » هاهنا لبيان الجنس ، لا للتبعيض ، فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية ، وأدواء الدنيا والآخرة ، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به » زاد المعاد ٣٥٢/٤ . والمنتفع بالقرآن هم المؤمنون ولذلك خصوا بالذكر - انظر شرح الطحاوية ص ١٠ ط شاكر - قراءة الفاتحة على اللديغ كما فى قصة أبى سعيد وأصحابه ، التى رواها الشيخان فى صحيحيهما ، وفى حديث =

وأمثال ذلك كثيرة : فإنْ عَرَفَ الناس سنة الله فى الأمور نجوا من هذه الابتلاءات .

ومن آرائه أن النحل الشائعة تعد من الدين ، والحقيقة أنها كفر وضلالة ولم يكن الدين إلا ليقى الناس من ضلالات كهذه .

يقول : خذ مثلا لك المسيحيين ، فإنهم يعدون أنفسهم أصحاب الدين ، والحق أنهم أصحاب كفر وضلالة ؛ فإن الدين إنما كان ليعلم الناس الحقائق ويصرفهم عن اتباع المزاعم والأوهام ، من نسبة الولد إلى الله ، أو الاعتقاد بقيام رجل من بين الأموات وصعوده إلى السماء ، وانتظار هبوطه إلى الدنيا مرة أخرى[1] . فنحن نستدل على لزوم الدين واحتياج الناس إليه بوجود ضلالات كهذه . نعم إننا نستدل بلزوم الدين ، ونجيب المزدرين به قائلين : إن الناس إن لم يكن لهم دين يهديهم ، ويجمع شملهم ضلوا وافترقوا ، واتبع كل طائفة مزاعم أخرى ، فجعلت فرقة عيسى ولدا لله ، شريكا له ، واعتقدت أخرى أمر الكون بأيدى أئمتهم الموتى وزعمت فرقة أن الله يبغض الدنيا ، ودعت الناس إلى تركها والتزهد عنها[2] .

= عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا أتى مريضا ، أو أتى به قال : « أذهب الباس ، رب الناس ، اشف وأنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما » متفق عليه . وكان ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات ، وينفث ، فلما اشتد وجعه كانت عائشة تقرأ عليه ، وتمسح بيده رجاء بركتها كما فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها . وقد روت عائشة أن النبى ﷺ رخص فى الرقية من كل ذى حمة (وهى السم) متفق عليه . وقد أمرها أن تسترقى من العين » متفق عليه ، وانظر أحاديث أخرى فى ذلك فى : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٣/٦٣٠٩) .

ومن المعلوم أن هذه الوسيلة لا تنافى اتخاذ الوسائل الأخرى الطبية التى يكتشفها البشر .

(١) يدين المسلمون بأن الله رفع عيسى عليه السلام إليه حيا لم يقتل ولم يصلب ، كما نص عليه القرآن ، ويؤمنون بنزوله إلى الأرض فى آخر الزمان ، وقد تواترت الأحاديث بذلك . انظر : ابن كثير ١/٥٧٨ - ٥٨٤ .

(٢) الزهد فى فضول المباحات مشروع ، ولا يعنى الزهد الإعراض عن الدنيا وتركها بأيدى الضالين والمنحرفين ، بل الزهد أن تكون الدنيا فى يدك لا فى قلبك ، ولذلك قال مالك بن دينار : « ليس الزاهد مالك بن دينار الذى أعرضت عنه الدنيا ، فأعرض عنها ، بل الزاهد عمر بن عبد العزيز ، الذى أقبلت عليه الدنيا ، فأعرض عنها » . انظر الحلية لأبى نعيم ٥/٢٥٧ .

يقول : فمن العجب أن تعد هذه الضلالات دينا ، وليس الدين إلا لوقاية الناس عنها ، وعن أمثالها .

يقول : إن هذه المذاهب قد حقرت الدين عند أصحاب العلم وجرأت الماديين على إنكار وجود الله ، وتكذيب الأنبياء ، وإعلان المعادة بالدين ، فمن الواجب علينا أن نعادى هذه الضلالات ونكافح أصحابها .

فهذه الآراء قد بعثته على معارضة المذاهب والضلالات ، وهى كثيرة فى إيران . فكتب أولا مقالات متتابعات فى مجلته الشهرية « بيمان » التى انتشرت سبع سنوات متواليات حتى تعطلت ، وفى جريدته اليومية « برجم » التى انتشرت أحد عشر شهرا حتى أوقفت ، ثم أخذ يطبع كتبا ، وخصص كل مذهب أو ضلالة بكتاب أو كتابين .

وخلاصة القول أنه سعى سعيا حثيثا للنضال عن الدين ، وإزالة الضلالات ، وإدخال الناس فى دين واحد وكانت مساعيه مثمرة ، فإنه أقبل عليه فئات من الناس – من كل أمة ونحلة – ولاسيما الشبان من متخرجى المدارس وغيرهم . فأحاط به آلاف منهم ، وقاموا بنصرته ، وبث آرائه ، ونشر كتبه ، وأخذوا على عاتقهم حراسته من كيد أعدائه ؛ فالنهضة اليوم فى إيران على قدم وساق .

نعم إن مناوئوه[1] أكثر كثيرا ؛ فإن الشيعيين والبهائيين والصوفيين والماديين والرأسماليين والمتعصبين للسعدى والخيام والحافظ والمستأكلين بالشعوذة والسحر كلهم أعداء له يعادونه ويناوئونه ، ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

أما سبب تأليف الكتاب أن شابا من عائلة إيرانية فى الكويت انحاز إليه وقام بنشر الفكرة بين الكويتيين . فمست الحاجة إلى كتب عربية واستدعى بعض الكويتيين منه تأليف كتب بالعربية لاستفادتهم ، فأجاب استدعاءهم ولأن

---

(١) كذا ، والصواب : إن مناوئيه .

التشيع من المذاهب الشائعة فى الكويت ، وفى العراق ، رأى ان يكون اول كتاب بالعربية فيه ، فألف هذا الكتاب وأتمه فى أسبوعين ، وكان ينوى أن يعيد فيه النظر ولا يطبعه إلا بعد إدخال تحسينات فيه .

بيد أن حادثة حالت بينه وبين ما يريد ! فإنه فى اليوم الخامس عشر من جمادى الأولى (من السنة الجارية) حينما كان سائرا فى بعض الشوارع ، ومعه شابان لحراسته إذا بطائفة من الأوغاد من متعصبى الشيعة أحاطوا به لاغتياله . فأطلق عليه أحدهم رصاصتين أصابتاه من ظهره ، ثم أنحوا عليه بالسكين والحجر فجرحوه من رأسه ووجهه وصدره ثلاثة عشر[1] جرحة .

وكانت فى الحادثة عبرة لمن اعتبر ، فإن الأوغاد كانوا أزيد من ثلاثين رجلا غير من اجتمع عليهم من العابرين . فقاومهم وهو مثخن بالجراحات أكثر من نصف ساعة حتى وصل إلى المحل من وصل من ضباط البوليس ، وأنقذوه والشابين ، وأوصلوهم إلى مراكز البوليس .

فهذه الحادثة منعته مما كان يريد من تهذيب الكتاب وتحسينه ! فإنه احتاج إلى المداواة وترك الاشتغال بالكتابة إلى أمد ، ولأن إخواننا الكويتيين كرروا استدعائهم مرات رأينا أن نطبع الكتاب كما كان ، وإنما نشرح هذا لكى يكون القارئون على بصيرة من الأمر ، ويعاملونا بالصفح إن رأوا فى عبارات الكتاب ما لا يستحسنون ، وأملنا وطيد أن نستدرك ما فاتنا من التحسين والتجويد عند الطبعة الثانية .

استدراك

إن مؤلف الكتاب لم يرد مما كتبه إلا بيان الحق ، وإلا فلم يكن بينه وبين الشيعة ما يوجب التباغض ، وليس هو ممن يتبعون الأغراض ، وسيرى القارئون أنه قد أثنى على الشيعة الأقدمين ، وعرف لهم جهادهم فى سبيل الحق ، وقيامهم لنصرة العلويين ، وهذا من أوضح الدلائل على تجنبه من كل غرض .

---

(1) الصواب : ثلاث عشرة .

ثم إنه قد أسند أقواله إلى الدلائل وهذا ديدنه فى كل ما يكتب . فللقارئ أن يتأمل فى كل قول ودليله ، وبصير عقله حاكما يحكم بما يراه حقا ، ولعلماء الشيعة أن يدافعوا عن نحلتهم ويردوا الدلائل إن كانوا يرونها غير سديدة .

وخلاصة القول أن المؤلف لم يرد إلا إظهار الحق ؛ فإنه يتمنى – كما قلنا – إدخال الناس فى دين واحد ، ويسعى لتحقيق تلك الأمنية الجليلة من طريقين :

١ – كشف الغطاء عن المعنى الصحيح للدين ، الموافق للعلوم والعقل .

٢ – إيضاح بطلان المذاهب المتفرقة التى يفرق[1] الناس بعضهم عن بعض .

ومما يجب التنبه عليه أنه لم يرد من كلماته أو جملاته إيقاع توهين أو إبداء نقمة ، ولم يرد إلا إفهام المعنى ؛ فكلمة « الضلالة » مثلا لم يرد بها إلا الخروج عن سبيل الحق ، وهكذا غيرها من الكلمات .

فمما يمكن أن يوهم التوهين كلمة « الروافض » ، والحال أن المؤلف لم يأت بها حيث أتى إلا لإفهام المعنى وبيان المقصود ؛ فإن للشيعة طوائف عديدة ، وهذه الطائفة معروفون فى التاريخ بالروافض ، وقد بين المؤلف أن الكلمة أطلقها عليهم زيد بن على الشهيد ، و « الرفض » فى اللغة بمعنى الترك ، وليس فيه ما يوجب التوهين ، وكيف كان فالمؤلف قد سلك فى استعمالها مسلك المؤرخين .

ولنا وطيد الأمل أن يقع الكتاب موقع قبول واستحسان عند إخواننا العرب وأن ينهض منهم رجالا ذوى الهمم[2] يمدون يد المساعدة إلينا .

إدارة جريدة « برجم »

---

(١) الصواب : التى تفرق .
(٢) الصواب : رجال ذوو همم .

الباب الأول

فيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فى تاريخ التشيع وكيفية ظهوره .

الفصل الثانى : فى تاريخ المهدوية وكيفية ظهورها .

الفصل الثالث : فى تاريخ التشيع والمهدوية بعد أن امتزجا .

الفصل الأول

فى تاريخ التشيع وكيفية ظهوره

الخلفاء الثلاثة

لما قام النبى[1] وأنقذ العرب من أهل مكة والمدينة من الوثنية وألف أمة سماهم المسلمين[2] كان هو يحكم عليهم ، ويلم شعثهم ، ويقودهم إلى الحروب ولم يكن لهم أمير غيره . فلما مات النبى[1] عام ١١ من الهجرة فلأنه كان لم يعين رجلا يخلفه اجتمع أصحابه من المهاجرين والأنصار فى سقيفة بنى ساعد[3] واختاروا أبا بكر الصديق ، وهو شيخ ذو جلالة أميرا لهم ، فبايعوه وسموه خليفة رسول الله .

ويظهر أن عليا ، ابن عم النبى وصهره ، كان يرى نفسه أحق وأولى للخلافة ، لما له من القرابة القريبة من النبى ولما قد سبق منه من الجهاد فى سبيل الإسلام ، لكنه لم يظهر شيئا من ذلك ولم يكن له أن يظهر[4] . لأن النبى كان

---

(١) ﷺ

(٢) الذى سمى المسلمين بهذا الاسم هو الله تعالى ، كما قال ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ﴾ [الحج : ٧٨] ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢٣٦/٣ .

(٣) الصواب : بنى ساعدة .

(٤) إذا كان المؤلف يعترف بأنه لم يظهر شيئا من ذلك ، فكيف -إذا- عرف أنه كان يرى نفسه أحق وأولى بالخلافة !

وقد أخرج الحاكم عن على والزبير -رضى الله عنهما- قالا : « إنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ ، إنه لصاحب الغار ، وثانى اثنين ، وإنا لنعلم بشرفه وكبره ، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس ، وهو حى » ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى . المستدرك ٦٧/٣ .

وخرج الحاكم أيضا عن على أنه قال : سبق رسول الله ﷺ ، وصلى أبو بكر ، وثلث عمر ، ثم خبطتنا فتنة ، ويعفو الله عمن يشاء ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى . ٦٧/٣ .

قد جعل أمر المسلمين شورى بينهم ، وكان المهاجرون والأنصار مختارين فيمن يؤمرون عليهم ، ولم تكن الإمارة أو الخلافة تراثا[1] يتوسل إليه رجل بالقرابة .

فبايع على أبا بكر برضى منه ورغبة ، بل قيل إنه لما صعد أبو بكر المنبر ، وقال : « أقيلونى ولست بخيركم »[2] أجابه على : « لا نقيلك ولا نستقيلك »[3] .

فقام أبو بكر بالأمر قيام رجل عادل محنك ، وحكم سنتين وأربعة أشهر فلم يكن منه إلا ما يوجب الثناء والشكر .

ثم بايع المهاجرون والأنصار ، وفيهم على ، عمر الفاروق . فسلك هذا مسلك أبى بكر ، وأبدى من الصرامة وحسن السيرة ما أعجب الناس من المسلمين وغيرهم ، وكان قد تزوج بابنة على أم كلثوم ، فكان يحترم عليا ، ويعظمه ، ويستشيره فى أموره ، وله فيه قوله المعروف : « لولا على لهلك عمر »[4] ، فحكم عشر سنين ، وستة أشهر ، حتى قتل بطعنة من أبى لؤلؤة .

ثم كان الأمر مرددا بين على وعثمان صهرى النبى ، فتم الأمر لعثمان ، وبايعه المسلمون ، ولكنه كان طاعنا فى السن ، كلفا بأقاربه ، ضعيف الرأى . فاستحوذ عليه أقاربه من بنى أمية وعدلوا به عن محجة العدل ، فكانت أمور أغضبت المسلمين وهيجتهم ، فوثبت جماعة منهم ، وحاصروه فى داره ، ثم

= وخرج لرل على لأبى سفيان : طالما عادبت الإسلام وأهله يا أبا سفيان ، فلم يضره ذلك شيئًا ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلا . المستدرك ٧٨/٣ والشواهد على ذلك كثيرة لا يتسع لها المقام .

(١) التراث : أصل التاء فيه واو ، قال ابن سيده : التراث والميراث : ما ورث [اللسان مادة « ورث »] .

(٢) لم يثبت ذلك عن الصديق كما يشير إليه شيخ الإسلام ابن تيمية [منهاج السنة : ٢١٩/٤] .

(٣) تاريخ ابن العبرى : المؤلف . قلنا : ثبت أن عليا بايع أبا بكر رضى الله عنهما ، وتقر بذلك الشيعة نفسها ولا تجد ما تجيب به إلا القول بالتقية .

(٤) منهاج السنة : ١٦١/٤ .

قتلوه بعد أن كان قد حكم اثنتى عشرة سنة ، فكانت أول فتنة في المسلمين[1] .

الخليفة على

ثم بويع على ، ولكن المسلمين كانوا قد تغيروا ، وكثيرون منهم ساءت نياتهم ، فامتنع معاوية بالشام عن البيعة ، وقامت عائشة زوجة النبى تعظم أمر عثمان ، وتوغر الناسَ على على ، واتخذت مكة مقاما لها[2] ، ثم نكث طلحة والزبير البيعة ، والتحقا بعائشة ؛ وخرجا بها عن مكة حتى قدموا البصرة ، وأخرجا عامل على منها[3] ، فتأسى بهم معاوية فاتخذ دم عثمان حجة فجاهر بالعداء . وكان من رسالات على إلى معاوية ما نأتى به هناك :

---

(١) شهد الصادق المصدوق ﷺ لعثمان أنه على الحق حين الفتنة ، وأنه على الهدى ، كما فى المسند ٢٤٢/٤ ، ٢٤٣ ، وابن ماجه ٤١/١ ، وفضائل الصحابة ٤٥٠/١ وإنما خرج عليه الناقمون بتحريض من عبد الله بن سبأ اليهودى ، وقد صرح النبى ﷺ بنفاقهم ، كما فى المسند ٧٥/٦ ، ٨٦ ، ١١٤ ، ١٤٩ ، وابن ماجه ٤١/١ ، وابن سعد ٦٦/٣ . وقد عدَّه على رضى الله عنه ممن قال الله فيهم ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ [الأنبياء : ١٠١] ، كما فى فضائل الصحابة ٤٧٥/١ .

أما غمز المؤلف له بكونه طاعنا فى السن فما ذاك بعيب له ، وقد قضى حياته كلها فى طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، واختاره المسلمون بمحض إرادتهم كما فى صحيح البخارى (مع الفتح) ٥٩/٧-٦٩ ، وكان الصحابة أنصارًا له على أمر الخلافة ، وتدبير أمور الرعية ، ولولا معرفتهم بكفاءته وأهليته ونصحه لاختاروا غيره .

أما كلفه بأقاربه فالإحسان إلى الأقربين أمر مشروع وما حمله هذا على بخس الناس حقوقهم ، ولا إعطاء الأقربين ما ليس لهم .

أما ضعف الرأى فدعوى عريضة لم يذكر المؤلف مستندها ، ويكفى فى قوة عقله رفضه طلب الثوار التنازل عن الخلافة مع علمه بأنهم يقتلونه ، لئلا تكون هذه سنة لأهل الفتنة كلما سخطوا من الولاة شيئًا ، وانظر المصادر السابقة ، وانظر : العواصم من القواصم (ص ٥٢-١١٧) ، ولفضائل الصحابة للإمام أحمد ٤٤٨/١-٥٢٧ ، والمنتقى للذهبى (ص ٢٢٥-٢٣٨) وكتاب (الخليفة المفترى عليه لمحمد صادق عرجون .

(٢) إنما ذهبت مع غيرها من أمهات المؤمنين لما حاصر البغاة عثمان رضى الله عنه ، ومنعوا عنه الماء وأهانوا أم حبيبة إذ أرادت سقيه ، فتجهزن للحج فرارًا من الفتنة . انظر : الطبرى ١٢٧/٥ ، ابن كثير ٢٢٩/٧ .

(٣) المؤلف متأثر فى ذلك بالمصادر والروايات الشيعية ، أما غرضهم من الخروج إلى البصرة فانظره فى الطبرى ١٧٥/٥ ، والعواصم من القواصم (ص ١٥٠-١٦٠) .

« إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضى ، فإن خرج من أمرهم بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين »[1] .

فقامت فتن ، وانشق المسلمون على أنفسهم ، فكان على لابد له من سلّ السيوف ، وإهراق الدماء ، فقصد أولا عائشة وصاحبيها ، فقاتلهم وانتصر عليهم ، فقتل طلحة والزبير ، وشرد أعوانهما ، وبقيت عائشة وحدها . فكان من حسنات على أنه لم يجزها سوءًا ولم يوبخها ، بل راعى حرمة النبى فيها . فأصحبها نساء فى زى رجال ، وأعادها إلى المدينة ، ولما دخل إلى البصرة صعد المنبر ، وخطب خطبة يوبخ أهل البصرة ، وكان فى جملة ما قال :

« وأما عائشة فأدركها رأى النساء ، وضغن غلا فى صدرها كمرجل القين[2] ولو دعيت لتنال من غيرى ما أتت إلىّ لم تفعل ، ولها بعدُ حرمتُها الأولى والحساب على الله »[3] ، [4] .

---

(١) نهج البلاغة . المؤلف . ص ٣٦٦-٣٦٧ وانظر : الإرشاد لشيخ الشيعة المفيد ص ١٣٠ ط الأعلمى-بيروت ، أو ص ١٤٣ ط الحيدرية-النجف .

(٢) كانت عائشة ضرة خديجة أم زوجة على فلا ريب أنها كانت تحسده . المؤلف .

(٣) نهج البلاغة . المؤلف .

(٤) حاشا أمير المؤمنين أن يقول هذا القول المفترى فى حبيبة رسول الله ﷺ التى اختارها الله تعالى زوجةً لنبيه فى الدنيا والآخرة ، ولو نسب إلى فردٍ من رعاع الناس أنه حقد على آخر سنين طويلة لكلمةٍ قالها فيه ، أو رأيٍ رآه ، أو لأنه صاهر إلى بعض خصومه لكان فى هذا عليه أعظم النقيصة ، فما بالك بأم المؤمنين رضى الله عنها ؟ وأى خصومةٍ بين عائشة وخديجة إلى الحد الذى يجعل عائشة تناصب عليًا العداء لأنه زوج فاطمة بنت النبى ﷺ من خديجة ؟ .

إن الروايات الثابتة فى الصحيحين وغيرهما تكشف عن متانة الروابط بين عائشة وبين فاطمة نفسها ومن أظهرها قصة مجيء فاطمة إلى رسول الله ﷺ فى مرض موته حيث سارها بشيء فبكت ثم سارها فضحكت ، فسألتها عائشة بعد ذلك ، فقالت : أخبرنى أنه يموت فى مرضه ذلك فبكيت ، ثم أخبرنى أننى أول من يلحق به من أهله فضحكت ، وفى رواية : أخبرنى أننى سيدة نساء أهل الجنة ، وعائشة هى التى تروى هذا الحديث ؟
—

ثم قصد الإمام معاوية ، فلقيه في صفين ، فكان ما كان من محاربات طويلة . قتل فيها سبعون ألف رجل ، فاضطر معاوية إلى الخداع فأمر أصحابه أن ينشروا المصاحف وينادوا : « يا أهل العراق بيننا وبينكم كتاب الله ، ندعوكم إليه » . فأجبر على على إجابة ما طلبوا ، فانفصل الفريقان قبل أن يفصل الأمر بينهما[1] . ثم كان ما كان من خروج الخوارج على على ، وتنالهم إياه في نهروان وخداع عمرو بن العاص وخلعه وأبي موسى عليا عن الخلافة[2] ، فبعد أن انتصر علىّ على الخوارج وعاد إلى الكوفة أخذ يستعد على معاوية ، ويستنهض أعوانه لاستئناف القتال ، ولكنه ضربه ابن ملجم فقضى نحبه ومضى إلى ربه . وكان قد حكم أربع سنين وتسعة أشهر .

= وكانت عائشة تثنى على كثير من ضرائبها كسودة ، وزينب ، وغيرهما ، أما الضغن الذى هو كمرجل الفتن ، فإنما يغلى في صدور الروافض الذين لفقوا الأكاذيب على رجال الصدر الأول ونسائه ، وعملوا في تاريخهم ما عمله يهود في تاريخ الأنبياء وسيرهم .

(١) لم يكن رفع المصاحف خدعة ، بل كان دعوة إلى الصلح والإبقاء على الفريقين ، خوفًا من فنائهم وانقضاض فارس والروم على ذرارى المسلمين ، وهذا ما تشهد به الروايات ، حتى روايات بعض الشيعة ، فضلًا عن بعض الروايات الفريبة التى لم تذكر رفع المصاحف ، وإنما ذكرت أن رسل معاوية جاءوا ومعهم مصحف يطلبون إلى على الاحتكام إليه لوقتهم ، وقد أمر هذا الإبقاء على المسلمين وبهم قوة ، وإنما سخط من ذلك الكفار والمنافقون الذين يودون الإجهاز على المسلمين . انظر : المسند ١٨٥/٣ ، الأموال لابن زنجوية ٣٩٧/١ ، مجمع الزوائد ٢٣٧/٦ وغيرها .

(٢) الصواب في حادثة التحكيم ما رواه الأئمة الثقات كالدارقطنى ، وخليفة بن خياط ، والبخارى في تاريخه الكبير ، وابن عساكر في تاريخ دمشق عن حضين بن المنذر – وهو من خاصة على – عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه قال : لقد قال الناس في ذلك ما قالوا ، والله ما كان الأمر على ما قالوا ، ولكن قلت لأبي موسى : ما ترى في هذا الأمر ؟ قال : أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، قلت فأين تجعلنى أنا ومعاوية ؟ فقال : إن يستعن بكما ففيكما معونة ، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما ، قال : فكانت هى التى قتل معاوية منها نفسه .

قال الإمام أبو بكر بن العربي : « ولقد تحكم الناس في التحكيم ، فقالوا فيه ما لا يرضاه الله ، وإذا لحظتموه بعين الروءة – دون الديانة – رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها الكتب في الأكثر : عدم الدين ، وفي الأقل : جهل متين » .

العواصم من القواصم (ص ١٧٢) ، وانظر حتى صفحة ١٨١ ، وأيضا التاريخ الكبير ٣٩٨/٥ وتاريخ دمشق ٢٦٢/١٣ ب .

قيل : إن عليا كان لا يعرف السياسة والتدبير .

أقول : نعم . بيد أن الذى أصعب عليه الأمر إصعابا ما كان قد سبق منه من محاربة المشركين ، وقتل صناديد من بنى أمية ، وغيرهم ، فلما ولى غلت مراجل الحقد فى صدور بنى أمية وغيرهم ، ولنعم ما قيل : « إنها كانت أحقاذا جاهلية وإحنا بدرية وضغائن أحدية وثب بها معاوية ليدرك بها ثارات بنى عبد شمس » . ثم إن الزمان كان قد تغير ، والقلوب قد فسدت ، والنيات ساءت ، فهب أن عليا أفسد معاوية عليه بعزله عن الشام وأغضب طلحة والزبير بامتناعه عن توليتهما البصرة والكوفة ، فأى إساءة أساء إلى عائشة حتى قامت بما قامت به ، وهى من أزواج النبى ، ومن أعرف الناس بفضائل على ومقامه عند النبى ؟!، أفليس حقا ما قاله الإمام أنها أخذتها ضغنة النساء ؟![1] .

---

(١) مجموعة تهم ملفقة ، استقاها المؤلف من مصادر الشيعة الذين اختلقوا من الأكاذيب على الله وعلى رسوله ، وعلى الصحابة الأطهار ، وعلى آل البيت الأبرار ، ما سوف نفند كثيرًا منه فى تضاعيف الكتاب .

فأنت ترى أنه وصف عثمان بضعف الرأى ، ثم ثنى بأبى موسى ، وما هو بتلك بعلى ، وسيلحق به بعد سطور ابنه الحسن رضى الله عنهم أجمعين ، فإذا كان هذا رأيه فى الرعاة فماذا يكون رأيه فى الرعية ؟!

ولم يذكر المصادر التى قالت ذلك ، ولا الحجج التى اعتمد عليها فى هذه الدعوى ، وسير الأحداث فى العراق يدل على ضد ذلك ، وإنما فل عزمه شغب الخوارج عليه -رضى الله عنه- والقتل يوم بدر وأحد لم يكن مقصورًا على بنى أمية ، بل كان المؤمنون من الأنصار والمهاجرين يقاتلون أقاربهم ، من آبائهم ، وأبنائهم ، وإخوانهم ، وعشيرتهم .

كم أب قاتل فى الله ابنه وأخ قاتل فى الله أخاه !

ومعاوية رضى الله عنه مؤمن تقى ، ولاه الفاروق ، وأقره عثمان ، وكان متأولًا فى موقفه من على ، حيث يعتبر نفسه وليًا لعثمان رضى الله عنه ، مطالبًا بدمه ، وكان القتلة قد ضووا إلى جيش على -بلا خلاف- ، ولذلك كان ابن عباس رضى الله عنه يقول : « لما كان من أمر هذا الرجل ما كان -يعنى عثمان- قلت لعلى -رضى الله عنه- اعتزل ، فلو كنت فى جحر طلبت حتى تستخرج ، فعصانى ، وايم الله ليتأمرن عليكم معاوية ، وذكر أن الله تعالى يقول : ﴿ ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا ﴾ [الإسراء : ٣٣] .

رواه الطبرانى وابن عساكر ، انظر : الدر المنثور ٢٨١/٥ .

أما طلحة والزبير فلم يكونا طالبى ولاية ، ولا متعطشين إلى إمارة ، وقد تعلما من الرسول الأول أنها =

وتعصب أصحاب على بعده لأولاده ، وأرادوا ألا يخرج
الحسن بن على الأمر من بينهم ، فبايعوا الحسن بن على ، بايعوه دون أن يتشاوروا فيه ، بايعوه قبل أن يحصروه ، فجنوا على أنفسهم وعلى المسلمين أجمعين . لأن الحسن كان ضعيف الرأى ، يحب راحة نفسه ، ويصعب عليه تحمل أعباء الأمور .

وكان قتل على زاد معاوية عتوا . فأخذ الحسن يكاتبه ويحتج عليه فكتب فيما كتب :

« فلما توفى (أى النبى) تنازعت سلطانه العرب ، فقالت قريش ـ نحن قبيلته ، وأسرته ، وأولياؤه ، لا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد فى الناس وحقه ، فرأت العرب إن القول كما قال قريش ، وأن الحجة لهم فى ذلك على من نازعهم أمر محمد ، فأنعمت لهم العرب ، وسلمت ذلك ، ثم حاججنا نحن قريشا بمثل ما حاجت به العرب ، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها ! أنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج ، فلما صرنا نحن أهل بيت محمد وأولياءه إلى محاجتهم وطلب النصف منهم باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ، ومراغمتنا ، والعنت منهم لنا »[1] .

فهذه الجمل يرينا[2] ما كان كامنا فى نفوس أولاد على فى أمر الخلافة ، وأنهم كانوا يحسبونه تراثا من النبى ويحسبون أنفسهم أحق وأولى .

ـ حسرة وندامة يوم القيامة .

والناظر فى أمر الفتن التى وقعت بين الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ لا يجوز له أن يتجاهل المستوى الأخلاقى الذى كان عليه أولئك الرجال ، فهذا مع كونه مخالفة شرعية ، هو خطأ علمى ، لأن من يدخل فى تحليل أحداث ومواقف مضى عليها قرون يحتاج إلى أن يعرف أشخاصها معرفة جيدة ، تحميه من الجنف أو الطغيان ، والانسياق وراء الظنون التى لا تغنى شيئا

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه لقول عداته ... وأصبح فى ليل من الشك مظلم

(١) مقاتل الطالبيين . المؤلف .

(٢) الصواب : تريننا .

فأجابه معاوية بكتاب وكان فيه :

« إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم ، ولا سابقتكم ، ولا قرابتكم من نبيكم ، ولا مكانكم من الإسلام ، ومن أهله ، فرأت الأمة أن تخرج هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها ، ورأت صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعامتهم أن تولوا[1] هذا الأمر من قريش أقدمها سلما ، وأعلمها بالله ، وأحبها له ، وأقواها على أمر الله عز وجل ، فاختاروا أبا بكر ، وكان ذلك رأى ذوى الحجى والدين والفضيلة والناظرين للأمة ، فأوقع ذلك فى صدوركم لهم التهمة ، ولم يكونوا بمتهمين ، ولا فيما أتوا بمخطئين ، ولو رأى المسلمون فيكم من يغنى غناه ، ويقوم مقامه ، أو يذب عن حريم الإسلام ذبه ، ما عدلوا بذلك الأمر إلى غيره ، رغبة عنه ، ولكنهم عملوا فى ذلك بما رأوه صلاحا للإسلام وأهله ، والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيرا »[2] .

وكان معاوية صائبا فى هذا الجواب وإن كان خاطئا فيما يفعل ويريد . فهذه الجمل حجة عليه نفسه كما أنها حجة على الحسن وغيره من أهله[3] .

وكان معاوية يدعو الحسن إلى ترك الخلافة ، ويعده ، ويمنيه ، فعقب تلك الجمل بما يأتى :

---

(١) الصواب : أن يولوا .

(٢) مقاتل الطالبيين : المؤلف .

(٣) لم يكن الحسن ولا معاوية ممن يعتقد الخلافة تراثا هم أحق به وأولى من غيرهم لمجرد قرابتهم ، بل كانوا يرون مصلحة الأمة فى ذلك ، فالحسن جمع أمر الناس بعد أبيه ، وهو يرى أنهم لا ينقادون إلا له لقرابته من النبى ﷺ وكان فى هذا الخير كله كما ظهر فيما بعد ، وقد أثنى عليه جده ﷺ خيرًا ، حين قال فى الحديث الذى رواه البخارى : « إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين من المسلمين » .

ومعاوية – رضى الله عنه – وإن لم يكن أفضل من على فقد كان هو رجل الساعة المناسب لحال الناس ، وما طرأ عليهم من تغير ، وقد أثبتت الأحداث حنكته وسياسته ، وأنه الخليق بالأمر فى مثل تلك الظروف ، وانظر : العواصم ص ٢٠١ – ٢١٠ ، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/٤٤٧ – ٤٤٨ ، وكتاب (معاوية بن أبى سفيان) تأليف : منير الغضبان .

« والحال بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها وأبو بكر بعد النبي ﷺ، ولو علمت أنك أضبط مني للرعية، وأحوط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيد للعدو لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ورأيتك لذلك أهلا، ولكني قد علمت أني أطول ولاية، وأقدم منك لهذه الأمة تجربة، وأكثر منك سياسة، وأكبر منك سنا، وأنت أحق أن تجيب إلى هذه المنزلة التي سألتني، فادخل في طاعتي، ولك الأمر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغا ما بلغ، تحمله إلى حيث شئت، ولك خراج أي كور العراق شئت معونة على نفقتك، يجبيها لك أمينك، ويحملها إليك في كل سنة، ولك ألا يستولى عليك بالإساءة ولا تقضى دونك الأمور، ولا يعصى لك أمر أردت به طاعة الله عز وجل »[1].

ثم لما سمع الحسن أن قد قصده معاوية سار إليه بعسكر عظيم، وجعل قيس ابن سعد[2] في اثني عشر ألفا في مقدمته، سار إليه وهو يظهر المحاربة ويبطن ما في نفسه من حب المصالحة، فلما نزل ساباط خطب على الناس خطبة قال فيها:

« وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر إليكم خيرًا من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا على رأيي »[3].

فعلم الناس أنه يريد مصالحة معاوية، وقالوا: « كفر - والله - الرجل » وثاروا، وشدوا على فسطاطه، وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم لما ركب الحسن وأطاف به خواص أصحابه قصده رجل وطعنه في فخذه وجرحه على أنه لم يرتدع عما كان ينوي. فرجع إلى المدائن لكي يتم الأمر، وأتته رسل

(١) و (٣) مقاتل الطالبيين. المؤلف.
(٢) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الأمير المجاهد، صاحب لواء النبي ﷺ في بعض مغازيه، وكان مع علي، فلما قتل عاد إلى وطنه، كان أمرد وليس له لحية، جوادا يضرب بجوده المثل، توفي سنة ٦١ هـ.
السير ٣/١٠٢-١١٣، الطبقات ٦/٥٢.

معاوية ، ولم يكترث بما كان من خواص أصحابه من النصيحة له والجزع والبكاء .

فبينما كان قيس بن سعد وأصحابه قد نزلوا بإزاء معاوية وتهيأوا للقتال إذا بأصوات من معسكر معاوية تناديهم وتصيح بهم : « هذا الحسن قد صالح معاوية . فعلى م تقتلون أنفسكم ؟! » . ولله درُّ قيس حيث قال لأصحابه : « اختاروا أحد اثنين : إما القتال مع غير إمام ، أو تبايعون بيعة الضلال » . فأجابه أصحابه : « بل نقاتل بلا إمام » . فخرجوا وضربوا أهل الشام وردوهم على أعقابهم[1] .

وأتم الحسن أمر المصالحة ، وفوض الخلافة إلى معاوية بعدما كانت أريقت في سبيلها تلك الدماء ، وبذلت تلك المهج ، فوض إليه الخلافة ، وهي لم تكن له ، بل لله وللمسلمين ، لقد أصاب معاوية حيث قال : « يا أبا محمد ، جدت بما لا تجود بمثله نفوس الرجال »[2] ، وبحق سماه من سماه : « مذل المؤمنين »[3] .

---

(١) هذه من الحكايات التي يتجلى فيها الخيال الخصب الذي يتمتع به الرافضة حين يتعرضون لتاريخ رجال الإسلام عامة ، وتاريخ رجال الصدر الأول خاصة ، وإلا فمن الذي يجرؤ على تكفير ابن بنت رسول الله ﷺ ، وحبيبه ؟ وسيد شباب أهل الجنة ؟ اللهم إلا الرافضة المتأخرون – وزنا ومعنى – الذين يعتقدون أن الإمامة ، والإيمان بالاثني عشر من ضروريات المذهب ، وأن جاحدها كافر ، أو السبئيون المندسون في الصفوف ، الباغون في المؤمنين الفتنة ، وإن كان حدث للحسن إيذاء أو نهب فعلى أيديهم لعنهم الله ومن شايعهم ، وكيف ينتقدون فعل الحسن مع اعتقادهم بعصمته ؟

وانظر الرواية التي ساقها المؤلف كاملة في الإرشاد للمفيد ص ١٨٩-١٩١ ، وجلاء العيون للمجلسي ص ٩٠ ، وكشف الغمة للأردبيلي ٢/٦٥ ، وانظر : تاريخ اليعقوبي ٢١٤-٢١٥ والمسعودي ص ٤٣١ . وهي من كتب القوم .

وقد ذكر المؤرخون الثقات أن غاية ما اشترطه قيس بن سعد الأمان لمن كان في جيش علي ، وألا يؤاخذوا بما كان في أثناء الفتنة ، فوافق معاوية وقال : إني والله لا أقاتل قيساً وأنا أجد من قتاله بدا ! وانظر : الطبري ٥/ ١٦٣-١٦٥ .

(٢) أما ما نسب إلى معاوية من القول فهو – إن صح – ثناء منه على الحسن لتغلبه على هوى النفس ، وتخليه عن الرئاسة والأتباع ، وزهده فيما تتطلع إليه النفوس بحكم جبلتها ، وأما تسمية الحسن بـ « مذل المؤمنين » ، فهو حقاً مذل المؤمنين بالجبت والطاغوت ، أعوان الشيطان من السبئيين وغيرهم ، ممن فات عليهم بتنازل الحسن فرصة عظيمة كانوا يطمعون أن يطفئوا من خلالها نور الله بأفواههم ، فأبى الله إلا أن يتم نوره ، ويحفظ المسلمين وبهم بقية .

(٣) انظر رجال الكشي ص ١١١-١١٢ .

وكان معاوية قد شرط شروطا للحسن ، ولما قضى الأمر لم يف بها ، بل قال جهارا : « كل شرط شرطتها للحسن فهو مردود »[1] .

فكذلك تم لمعاوية ما كان يريد من نيل الخلافة ، ورجع الحسن وأهله إلى المدينة واعتزلوا فيها ، فليتعجب المتعجب أن عليا ما قرر معاوية على ولاية الشام ، وأجاب الناصحين ، له بتقريره قائلا : ﴿ ما كنت متخذ المضلين عضدًا ﴾[2] والحسن ابنه فوض إليه الخلافة ، وسلطه على المسلمين غير مبال بما سيكون .

كيف نشأ التشيع؟

كان معاوية قد أسلم كرها ، ولا ريب أنه لم يكن يؤمن بالنبى ، ولا ينظر إلى الإسلام نظر الآخرين إليه ، فلا عجب فيما أتى به من الشنايع ؛ فإنه لما استقر له الأمر أذكى العيون على أتباع على وقتل كثيرين من خيار أصحابه – قتلهم لأنهم كانوا قاتلوه تحت راية إمام – وأمر بلعن على وسبه على المنابر وكان هذا من أفظع أعماله .

ثم إنه ترك مسالك الخلفاء الراشدين ، وجعل الخلافة ملكا موروثا ، فأمر الناس ببيعة ولده يزيد ، فبايعوه طوعا أو كرها .

فساءت أعماله المسلمين ، وأغاظتهم كثيرا ، فخطر على بال كثيرين منهم السعى فى سبيل الخلافة ، ونزعها من أيدى بنى أمية ، لكنه لم يجرأ أحد على

---

(١) هذه كذبة صلعاء ، ومعاوية كان أدين وأحكم من ذلك ، وهو يعلم – رضى الله عنه – أن الحسن لو رجع عن الصلح – وحاشاه من ذلك – لالتف حوله كثير ممن انفض عنه ، ولهددوا الدولة أى تهديد ، فكان دفع ما اصطلح عليه خيرًا من ذلك بكثير ، ولو فرض جدلًا أنه كان ينوى عدم الوفاء بما وعد فأى مصلحة له فى أن يقول ذلك جهارًا نهارا ؟ والصواب أن الحسن كتب إلى معاوية شروطًا ، ثم جاءته ورقة بيضاء مختومة من معاوية يقول : اشترط لها ما شئت ، فكتب الحسن شروطًا جديدة مضاعفة ، فلما تم الصلح طلب الحسن الشروط التى كتبها أخيرًا ، فأبى عليه معاوية إلا الشروط الأولى ، فلم يتم له شىء من ذلك . انظر : الطبرى ٥/١٦٢–١٦٣ .

(٢) الكهف ، آية – ٥١ – .

ذلك مادام معاوية حيا[1] .

فملك عشرين سنة ، ولما مات وخلفه ابنه يزيد امتنع فى المدينة الحسين بن على ، وعبد الله بن الزبير عن البيعة ، وخرجا إلى مكة ، فكتب أهل الكوفة إلى الحسين فى القدوم إليهم ، ووعدوه النصر ، فسار الحسين إليهم ، ولكنهم خذلوه وما نصروه ، فقتل الحسين فى عدة من أهله وأصحابه ، ولم يتم له ما أراد .

فملك يزيد ثلث سنين ، وثمانية أشهر ، ولما مات خلفه ابنه معاوية[2] ، ولكنه اعتزل بعد أربعين يوما . فوهن أمر بنى أمية ، وبدت الفوضى .

فقام عبد الله الزبير فى مكة يدعو الناس إلى البيعة لنفسه ، فظفر بالحجاز واليمن وغيرهما ، وقام مختار بن أبى عبيدة[3] الثقفى فى الكوفة ، وملك الأمر واصطفى محمد بن على (المدعو بابن الحنفية) وهو يسكن المدينة بالخلافة[4] .

فقيل إنه وافت عرفات فى عام ٦٨ من الهجرة أربعة ألوية : لواء ابن

---

(١) لم يسق المؤلف أدلة على ما ادّعى ، ولقد كان معاوية مؤمنًا مسلما ، وقد روى الترمذى -رقم ٣٨٤١- فى المناقب ، وأحمد فى المسند ٢١٦/٤ عن عبد الرحمن بن عميرة أن النبى ﷺ قال لمعاوية : « اللهم اجعله هاديًا مهديًا ، واهد به » وكان من كتبة الوحى ، ولم يكن المؤيد بالوحى من السماء ﷺ ليختار لهذه المهمة الخطيرة إلا من يثق به .

أما جعله الخلافة فى ابنه فنسوق فيه ما قاله الإمام المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون من أن معاوية لو حمل قومه على غير تلك الطريقة لوقع فى افتراق الكلمة التى كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة .. فعهده إليه خوفًا من افتراق الكلمة .. وانظر بقية كلامه رحمه الله فى المقدمة ٣٦٤/١-٣٦٦ .

(٢) معاوية بن يزيد بن معاوية كان شابًا دينًا خيرًا من أبيه ولى أربعين يومًا ، وأبى أن يعهد إلى أحد ، وتوفى وله ثلاث وعشرون سنة . انظر : السير ١٣٩/٤ ، والمعارف (ص ٣٥٢) .

(٣) الصواب : ابن أبى عبيد .

(٤) هو محمد بن على بن أبى طالب الهاشمى أمه من سبى اليمامة ، تابعى جليل ، وفد على معاوية وعبد الملك بن مروان ، وغلت فيه الشيعة وزعمت أنه لم يمت ، مات رحمه الله سنة ثمانين . انظر : السير ١١٠/٤-١٢٩، الطبقات ٩١/٥ .

الحنفية ، لواء ابن الزبير ، لواء بنى أمية ، لواء نجدة الحروري[1] (من الخوارج) .

بيد أن ابن الزبير والمختار[2] وغيرهما لم يتم لهم ما أرادو ، بل بادروا واحدًا بعد آخر ، ودامت الخلافة فى بنى أمية ، فملك مروان بن الحكم ، وملك بعده أولاده .

ولكن النزاع لم ينقطع ؛ فإن العلويين شق عليهم حرمانهم من الخلافة ، وهم أولاد بنت النبى ، ولم يتركوا المطالبة بها ، وحذا حذوهم العباسيون ، وهم أولاد العباس عم النبى ، فكانت هاتان العائلتان من بنى هاشم تنازعان بنى أمية الخلافة .

وكان العلويون أجل عند الناس مقاما ، وأكثر أعوانا ، ولكنهم تفرقت أهواؤهم وآراؤهم ولم يجتمعوا على أحد منهم ، ثم إنهم كانوا مغترين بما لهم من المكانة عند الناس ، وبما أوتوا ، من الشجاعة ، وأما بنى[3] العباس فكانوا متفقى الكلمة ، وبنوا أمرهم على التمهيد ، فاغتنموا ما كان فى قلوب الإيرانيين من حقد بنى أمية[4] ، فأرسلوا دعاة لهم إلى إيران ليدعو الناس إليهم ، ويؤلفوا منهم الكتائب .

فنتج من كل ذلك أن بنى العباس ظفروا بما أرادوا وأزاحوا بنى أمية عن

---

(١) نجدة بن عامر الحنفى من الخوارج ، كان من الأزارقة ثم فارقهم ، وصار إلى نجد فكثر أتباعه ثم أتى البحرين وأقام بالقطيف ، وخضعت له البحرين واليمن والطائف وغيرها ، قتله أحد أصحابه بعد أن دب فيهم الخلاف .

الكامل للمبرد (١٢٩/٢) ، وابن الأثير (٧٨/٤) ، ولسان الميزان (١٤٨/٦) .

(٢) المختار بن أبى عبيد الثقفى ، من النزار على بنى أمية ، أخته زوج عبد الله بن عمر ، خرج على عبيد الله بن زياد ، ثم كان مع ابن الزبير ، ثم دعا إلى إمامة ابن الحنفية ، وبايعه خلق بالعراق ، ويذكر أنه ادعى النبوة ، ثم قتل فى قصر الكوفة على يد مصعب بن الزبير وذلك فى سنة ٦٧ هـ . انظر : الإصابة ٧٧/١٠ ، الأعلام ١٩٢/٧ .

(٣) الصواب : بنو العباس .

(٤) من حقد على بنى أمية .

كرسى الخلافة ، وأما بنى على[1] فقام كثيرون منهم - من زيد بن على ويحيى ابن زيد ومحمد بن عبد الله (النفس الزكية) وإبراهيم بن عبد الله[2] - وقتلوا واحدًا بعد آخر بأيدى بنى مروان ، أو بنى العباس .

وخلاصة القول أنه لما نازع معاوية عليا الخلافة وأخذها من يد الحسن بالجبر والخديعة[3] صارت الخلافة سلطانا يكتسب بإعداد القوة والثورة وسل السيوف ، وقامت منذ موت معاوية مكافحات شديدة فى طلب ذاك السلطان . فكان من المكافحين العلويون أولاد على وكان أعوانهم فى تلك المكافحات يسمون بالشيعة (أى التابعين والمتحزبين) ، ومن هناك ابتدأ التشيع (بالمعنى الذى نريده)[4] .

أول ما توسخ به التشيع

فترون أن التشيع كان فى أول أمره جهادًا سياسيا وكان الشيعة ينصرون عليا الإمام بالحق ويحاربون معاوية العاصى الأثيم[5] . ثم لما قام التنازع بين أولاد على وبين بنى أمية وظاهر الشيعة العلويين كان أكثرهم مخلصين لله لا ينوون إلا نصرة الحق .

---

(١) الصواب : بنو على .

(٢) انظر فى حركاتهم ومصارعهم وسيرهم : مقاتل الطالبيين (١٥٢-١٥٨) ، (ص ١٢٧-١٥١) ، (ص ٢٣٢-٢٩٩) ، (ص ٣١٥-٣٨٦) ، وانظر المصادر المتمدة طبقات ابن سعد ٥/٣٢٥ ، البداية والنهاية ٩/٣٢٧-٣٢٩ ، ١٠/٥ ، ٨٠-٩٦ وغيرها .

(٣) كلمة المؤرخين متفقة على أن الحسن تنازل لمعاوية طائعًا غير مجبور ، ولم يكن ثمت خديعة ، ولا منبة للحسن أعظم من منبة من يزعم أنه ما تنازل حقنًا للدماء ، ولا حبًا فى جمع الكلمة ، فيكذب الحسن فيما قال ، ثم يزعم أنه تنازل طمعًا فى خراج العراق ، وهى التى كانت تحت إمرته !

(٤) قالوا إن عليا كان له خواص فى حياة النبى يعرفون بشيعته ، ورووا أحاديث عن النبى فى فضيلتهم ، وهذا إن صح (وعندنا أنه لا يصح) فلن ينال ما نقول . فإن كلمة الشيعة هناك لم يكن يراد بها غير الأتباع ، وهذا غير المعنى الذى نريد نحن التكلم عنه . فمما لا ريب فيه أن المسلمين فى حياة النبى لم يكونوا إلا فئة واحدة لا يعرفون التفرق والمعاداة . المؤلف .

(٥) إن وصف معاوية بالأثيم العاصى هو تجاوب لا شعورى من المؤلف مع ما زخرت به كتب الرافضة من الطعن فى رجالات الإسلام ، والصحابة -وإن اختلفوا فى اجتهاداتهم- فقد اتفقت الأمة على أنهم مجتهدون ، وإن كان على أولى بالحق من معاوية رضى الله عنهما . انظر : فتح البارى ١٢/٣١ ولعل من اعتزلوا القتال أولى من الجميع ، وذلك كمحمد بن مسلمة ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن =

فإن العلويين كانوا أصلح للخلافة من غيرهم ، وكان الأنقياء بينهم أكثر مما بين الآخرين ، ولاسيما إذا قيسوا بالأمويين الذين كان أكثرهم فساقا ذوى الخلاعة لا يعتقدون بالإسلام[1] .

بيد أن التشيع لم يدم على نزاهته هذه ، بل قام رجال من الشيعة يغالون فى حب على ، ويعادون أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، بدعوى أن عليا كان أحق للخلافة[2] منهم لظلموه حيث سبقوه .

وكان هذا الإفراط يشتد بمرور الزمان ، وبما يجرى من المكافحات بين العلويين وبين غيرهم ، وكان التشيع يتطور من جهاد سياسى إلى عقائد مفرطة ، فنسيت فئة من الشيعة ما كان لأسلافهم من الحمية ، والشجاعة ، وبذل المهج فى سبيل الحق ، وبدلت منه بغض المسلمين من غير الشيعة واجترأت على إساءة ذكر أصحاب النبى . فكان هذا أول ما توسخ به التشيع .

ونجد نحن فى كتب التاريخ قصة تبين لنا ما كانت عليه هذه الفئة الغالية من سوء الخلق وفساد العقيدة ؛ لقد ذكروا أنه لما جاء زيد بن على[3] إلى الكوفة اجتمع عليه الشيعة ، وأصروا عليه بقبول البيعة والثورة على بنى مروان ،

= عمر ، وأسامة بن زيد ، وأبى بكرة ، وأبى مسعود ، وسلمة بن الأكوع ، وأبى موسى الأشعرى . (انظر : العزلة للخطابى ص ١٣ ، صحيح البخارى -الفتن- ١٠٧/٥ ، ٩٩/٨ ، ١٢/١ ، المستدرك ١١٧/٣ ، ٤٤٣/٤ ... وغيرها) .

ولذلك قال ميمون رحمه الله : « لقد كان الجماعة والفئة التى تدعى له الإسلام ما كان عليه سعد بن أبى وقاص وأصحابه الذين اعتزلوا الفتن ، حتى أذهب الله الفرقة ، وجمع الألفة ، فدخلوا الجماعة ، ولزموا الطاعة » العزلة (ص ١٣) والله أعلم بالصواب .

(١) الإسلام ليس دين طبقة معينة ، ولا عائلة خاصة ، بل من حمله وذب عنه كان أولى به ، ولا يخفى مقصد المؤلف من وراء الإشارة بالعلويين ، والطعن فى الأمويين .

(٢) الأولى : أحق بالخلافة .

(٣) هو زيد بن على بن الحسين بن على الذى تنسب إليه الزيدية ، بايعه الناس سرا فى الكوفة سنة ١٢١ هـ ، ثم نقضت الرافضة بيعته حين ترك أبوبكر وعمر ، فسموا رافضة ، وسمى أتباعه زيدية ، وقد قتل رحمه الله سنة ١٢٢ هـ . انظر : البداية والنهاية ٣٢٧/٩-٣٢٩ .

فأجاب زيد بما طلبوا وبايعه منهم أربعون ألف رجل (كما قيل) . لكنه لما حان الحين وأراد زيد أن يجاهر بالأمر جاءت جماعة من رؤسهم إليه وقالوا له : « رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر ؟.. » . قال زيد : « رحمهما الله ، وغفر لهما ، ما سمعت أحدًا من أهل بيتي يتبرأ منهما ، ولا يقول فيهما إلا خيرًا » ثم قال لهم : « إن أشد ما أقول فيما ذكرتم أنا كنا أحق بسلطان رسول الله من الناس أجمعين ، وإن القوم استأثروا علينا ، ودفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا ، قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة » . فلم تعجبهم هذه الأجوبة فنكثوا البيعة ، ورفضوه ، فقال زيد : « رفضتموني في أشد ساعة الحاجة » . فسموا بالروافض منذ ذلك[1] .

جعفر بن محمد

وظهر أيامئذٍ رجل من العلويين يعرف كيف يستفيد من هؤلاء الغلاة الروافض ، ويستعملهم في سبيل أهوائه ألا وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي[2] . فهذا الرجل سبك التشيع في قالب آخر ، وأحدث فيه محدثات كثيرة ، بل الحق أن التشيع في المعنى المذهبي ليس إلا من مبتدعاته ، وإليك بيان ذلك :

لا ريب أنه لما امتنع الحسين بن علي عن بيعة يزيد ، وجادل بالسيف وقتل مع عدة من أهله وأصحابه أثر ذلك في الشيعة كثيرًا ، فجعلهم يجلون عليًا ابنه أكثر من سائر العلويين ، وازداد ذلك الإجلال بعد موت علي لأن ابنه وخلفه محمد الباقر[3] كان من أصحاب الحديث والفقه . فكان الشيعة يعدونه

---

(١) انظر في سبب التسمية بالرافضة : الملل والنحل : ١/١٥٥ ، أعتقادات فرق المسلمين ص ٧٧ ، التبصير في الدين ص ٢٤ ، منهاج السنة : ٢/١٣٠ ، المنية والأمل ص ٢١ .

(٢) أبو عبد الله الهاشمي أحد الأئمة الأعلام ، بر صادق كبير الشأن ، وثقه ابن معين وقال أبو حاتم : ثقة لا يسأل عن مثله ، ووثقه الشافعي وابن عدي ولد سنة ثمانين ، ومات سنة ١٤٨ هـ . انظر : الميزان ١/٤١٤ ، التهذيب ٢/١٠٣ .

وقد أساء إليه المؤلف إساءة بالغة ، وصدق ما قالته فيه الرافضة وما نسبته إليه من الغلو والدعاوى الباطلة التي هو منها براء .

(٣) محمد بن علي بن الحسين بن علي ، أبو جعفر ، وثقه ابن سعد العجلي وغيرهما ، كان مولده سنة =

إمامًا لهم (بالمعنى اللغوى) ويرون فيه ما لا يرون فى غيره من العلويين .

ثم لما مات محمد الباقر كان ابنه جعفر أفقه منه ، فزادت الشيعة إقبالا عليه ، وتعلقا بذيله ، فاغتر الرجل ، وأخذ يحسب أنه قد اختاره الله لإرشاد عباده ، وأنه حجة الله على خلقه ، بعثه ليحتج به عليهم ، بعثه ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حىّ عن بينة ، فكان من أقواله :

« لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة له فيها ظاهر مشهور أو غايب مستور ، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة » .

قيل : « كيف تنتفع الناس بالغائب المستور ؟.. ! » .

قال : « كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب »[1] .

ولكى يكمل بدعته هذه ادعى أنه وارث الأنبياء ، فكان يقول :

« إن عندى لراية رسول الله المغلبة ، وإن عندى درعه ، ولأمته ، ومغفره[2] ، وإن عندى ألواح موسى وعصاه ، وإن عندى لخاتم سليمان بن داود ، وإن عندى الطست الذى كان موسى يقرب به القربان ، وإن عندى الاسم الذى كان رسول الله إذا وضعه بين المشركين والمسلمين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشابة ، وإن عندى لمثل الذى جاءت به الملائكة ، ومثل السلاح فينا كمثل التابوت فى بنى إسرائيل ، كانت بنو إسرائيل فى أى بيت وجد التابوت على أبوابهم أوتوا النبوة ، ومن صار السلاح إليه منا أوتى الإمامة »[3] .

= سنين ، أو قبلها ، ومات سنة ١١٤ هـ قال ابن تيمية : « من خيار أهل العلم والدين » وقيل : إنما الباقر لأنه بقر العلم ، لا لأجل بقر السجود جبهته .. » . انظر : تهذيب التهذيب ٩/ ٣٥٠-٣٥٢ ، التاج ٣/ ١٢ .

(١) بحار الأنوار : ٥٢/ ٩٢ .

(٢) اللأمة هى السلاح وعدة الحرب . انظر : النهاية ٤/ ٢٢٠ . والمغفر هو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه . النهاية ٣/ ٣٧٤ ، وانظر : أصول الكافى ١/ ٢٣٣ .

(٣) أصول الكافى ، كتاب الحجة ، باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ﷺ وآله ومتاعه ، ١/ ٢٣٣ .

وصار يدعى علم الغيب وكان من أقواله :

« علمنا غابر مزبور ، ونكت فى القلوب ، ونقر فى الأسماع ، وإن عندنا الجفر الأحمر ، والجفر الأبيض ، ومصحف فاطمة عندنا ، وإن عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه »[1] .

فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال :

« وأما الغابر فالعلم بما كان ، وأما المزبور فالعلم بما يكون ، وأما النكت فى القلوب فهو الإلهام ، وأما النقر فى الأسماع فحديث الملائكة ، نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم ، وأما الجفر الأحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله ، ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت ، وأما الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وزبور داود ، وكتب الله الأولى ، وأما مصحف فاطمة ففيه ما يكون من حادث ، وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة ، وأما الجامعة فكتاب طوله سبعون ذراعا ، أملاه رسول الله من فلق فيه[2] وخط أمير المؤمنين بيده والله فيه جميع ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة فيه أرش الخدش ، والجلدة ، ونصف الجلدة »[3] .

فترون أن الرجل كان قد لقى من بطانته الغلاة آذانا صاغية ، وقلوبا واعية ، فكان يتحدث بكل ما توحى إليه أهواؤه وأغراضه ، ولكى يثبتهم فى غلوهم ويزيدهم غيا يخوفهم تارة ويقول : « إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب ، أو نبى مرسل ، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان »[1] ويحرضهم تارة فيقول : « إنا خلقنا من نور الله ، وخلق شيعتنا من فاضل

---

(١) الإرشاد لشيخهم المفيد ص ٢٥٧ ، والاحتجاج لشيخهم الطبرسى ص ٢٠٣ ، بحار الأنوار : ١٨/٢٦ .

(٢) أى : من فمه مباشرة . قال الجوهرى : .. من فلق فيه بالكسر ، وبفتح : أى من شقه [من بحار الأنوار : ١٨/٢٦] .

(٣) الراضع نفسها من المصادر (الشبهة) السابقة .

(١) أصول الكافى : ١٠١/١ ، بحار الأنوار : ١٨٢/٢ ، وفيهما « إن حديثنا.. » .

نورنا »[1] ولكى لا يطلع الآخرون على مجازفاته كان يأمر أصحابه بالكتمان
و « التقية »[2].

هذا ما كان من جعفر بن محمد فى أول أمره (ولعل بعض هذه الدعاوى كان قد قام بها أبوه من قبل)[3] . ثم لما وهن أمر بنى مروان فى أواخر أيامهم وحرك الطمع فى الخلافة غير واحد من العلويين والعباسيين (كما ذكرنا) كان هذا الرجل ممن يطمع فى الخلافة ويحسد الآخرين من طالبيه بيد أنه سلك طريقا لم يسلكه أحد قبله .

فإن الآخرين كان كل طالب ينهض الناس ، ويدعوهم إلى البيعة لنفسه ، ولا يقوم بأمر إلا بعد أن يستوثق منهم ، ولا يتسمى بالخليفة إلا بعد أن يجادل خصومه ويكون عنده بعض سلطان ، وأما هذا فعد كل ذلك غير محتاج إليه ، وادعى أن الخليفة يجب أن يختاره الله ، ومن اختاره الله فهو الخليفة حقا ، سواء أكان مبسوط اليد آخذا بزمام الأمور ، أو مغلول اليد معتزلا عن الجمهور ، وادعى أن عليا كان قد اختاره الله للخلافة بعد النبى ، ونص عليه النبى قبل موته ، ونص على على ابنه الحسن ، ونص الحسن على الحسين ، وهكذا حتى وصل إليه نفسه[1] ، وادعى أن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا جائرين قد غصبوا حق على . وأنه لما مات النبى ارتد الناس (حيث لم يبايعوا عليا) إلا أربعة منهم ، وأجاز اللعن على أصحاب النبى والتبرؤ منهم[2] .

فبهذا تم على ابن الباقر ما كان يريد من الخلافة ، وحق القول إن الرجل كان يتمنى الخلافة (بل يشتاق إليها) ، ولكنه يكره الجهاد فى سبيلها ، فأتى برأى كهذا ، واستدل عليه بما توحى إليه أهواؤه ، فكان هذا ثانى بدعه[1] .

---

(١) بحار الأنوار : ٢٥/٢١ .
(٢) انظر أصول الكافى ، باب التقية : ٢/٢١٧-٢٢١ ، باب الكتمان : ٢٢٢-٢٢٦ .
(٣) ما قام هو ولا أبوه بشئ من هذه الدعاوى ولكن افترت عليهما الرافضة ، كما افترت - باعتراف المؤلف - على على رضى الله عنه ، بل على رسول الله ﷺ ، وانظر ترجمتنا السابقة .
(١) كل هذه البلايا أصبحت من عقائد الشيعة الاثنى عشرية التى تسمى بالرافضة ، ويشهد لنا عشرات الروايات ويرددها طائفة من أساطينهم ، والمؤلف صادق الشيعة فى نسبتها هذه الأقوال لجعفر وأبيه - ورأى م

ومن الواضح أن هذه الأقوال كانت تعجب الفئة الغالية من الشيعة وترضيهم ، فإنها كانت تفتح لهم أبواب الغلو أوسع مما كانت ، وتبررهم فيما كانوا عليه من ذم أصحاب النبي وثلبهم[1] ويجرؤهم[2] على فظايع من السب واللعن ما كانوا ليتجرؤوا عليها من عند أنفسهم .

ثم إن الشيعة كانوا عندئذ قومًا مقهورين آيسين ، قد قاموا مرارا ولم يظفروا بما أرادوا ، فملوا السعي والجهاد ، وكان بنو العباس بعد أن نالوا بالخلافة[3] تنكروا على العلويين[4] وأخذوا يضطهدونهم ، وأتباعهم .

ومن الواضح أن فئة كهؤلاء يحتاجون إلى آراء يعللون بها أنفسهم ، ويزيحون الأكدار من أفئدتهم ، فأقوال جعفر أتت في حينها ، فإنها كانت تسلي الشيعيين ، وتطيب قلوبهم ، وتريهم ظافرين[5] بعد أن كانوا يحسبون أنفسهم

= أنها فاسدة في العقل - كما هو الواقع لطعن في جعفر (ولقد يتطور الأمر عندهم إلى الطعن في الإسلام نفسه وهذا سبب إلحاد كثير من هؤلاء) ، وثابت عليه أن هذا من أكاذيب الروافض الذين مردوا على الكذب والبهتان وانظر في مسألة النص المزعوم : أصول الكافي : ٢٨٦/١ ، وما بعدها ، وانظر في دعوى الروافض أن الناس ارتدوا بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة أو أربعة . أصول الكافي : ٢٤٤/٢ ، رجال الكشي ص ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، تفسير العياشي : ١٩٩/١ ، البرهان في تفسير القرآن : ٣١٩/١ ، تفسير الصافي : ٣٨٩/١ ، نور الثقلين : ٣٩٦/١ ، الاختصاص ص ٤-٥ ، السرائر ص ٤٦٨ ، بحار الأنوار : ٣٤٥/٢٢ ، ٣٥٢ ، ٤٤٠ [وكل هذه كتب شيعية معتمدة عندهم تشهد وتجاهر بهذا الكفر ، لأن من كفر صحابة رسول الله ﷺ إلا ثلاثة أو أربعة فهو كافر بإجماع المسلمين ، بل من شك في كفر مثل هذا فهو كافر] .

وانظر في تخصيصهم لأبي بكر وعمر وعثمان في اللعن والتكفير ، عقد شيخهم المجلسي في بحار الأنوار بعنوان ، باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم ، [بحار الأنوار : ٢٠٨/٨-٢٥٢ ط الحجرية] وانظر في لعنهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه كتب الأدعية والزيارات عندهم .

(١) الصواب : وتسوغ لهم ما كانوا عليه ..

(٢) الصواب : وتجرئهم .

(٣) الصواب : بعد أن نالوا الخلافة .

(٤) الأولى : تنكروا للعلويين .

(٥) الصواب : وتريهم أنفسهم ظافرين .

مقهورين ، وتريحهم من كل سعى وجهاد ، وتفتح لهم مجالا فسيحا للمجادلة باللسان ، وإضمار الغيظ فى القلوب ، والمغالاة فى الحب والبغض ، وهذه ما كانت الشيعة تحتاج إليه احتياج الظمآن إلى الماء ، فلا عجب أن راجت هذه الآراء ، وأقبل عليها أكثر الشيعة ، وفيها ما فيها من المخالفة الصريحة للقرآن وسيرة المسلمين .

ثم إن جعفرا كان يعد الشيعة ويمنيهم بقيام قائم منهم (المهدى) يملك الأرض ، وينتقم من بنى أمية ، وبنى عباس ، فكان من أقواله :

« إن دولتنا آخر الدول ، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا ، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا : سرنا بمثل سيرة هؤلاء ، وهو قول الله عز وجل ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾[1] » .

وكان ينشد كثيرا هذا الشعر :

لكل أناس دولة يرقبونها ودولتنا فى آخر الدهر تظهر

ترك هذه الفئة القيام

هذا ما كان من تطور التشيع من جهاد سياسى إلى عقائد مذهبية ، وأنتم ترون أنها قد أسست على أمرين : الإمامة والخلافة .

فالإمامة فى اللغة هى أن يتقدم رجل على آخرين ويهديهم ويرشدهم ، فكان المسلمون يسمون الخلفاء والفقهاء أئمة[2] ، ولكنها صارت عند الشيعة بمعنى خاص ، فإنهم ادعوها أمرا إلهيا تاليا للنبوة . فزعموا أن الله كما يجب عليه أن يبعث حينا بعد حين نبيا يبنى دينا ، ويشرع شريعة ، فكذلك يجب عليه أن يبعث فى كل زمان إماما يحفظ الدين والشريعة ، ويرشد الناس ويهديهم ، وهذا

---

(١) الآية رقم ١٢٨ من سورة الأعراف .

(٢) انظر معنى الإمامة فى اللغة : اللسان والقاموس والمصباح ، مادة أم ، وراجع تعاريفها عند أهل السنة فى الأحكام السلطانية للماوردى ص ٥ ، مقدمة ابن خلدون : ٥١٦/٢ ، ٥١٨ .

٢٠

الإمام معلم من لدن الله ، معصوم عن الخطأ والمعصية ، عالم بما كان وما يكون .

أما الخلافة فكان المسلمون يعتقدونها شورى بين المهاجرين والأنصار والشيعة ادعوها أيضا أمرا إلهيا . فزعموا أن الخليفة هو نائب عن النبى فيجب أن يكون مختارا من الله ومنصوصا عليه من النبى ، وهذا المختار لن يكون إلا الإمام المبعوث ، فالإمام عند الشيعة رجل الحى وهو الخليفة أيضا[1] .

وأتى هذا التطور بنتائج عظيمة ، منها أن الشيعة (أى هذه الفئة الجعفرية) انفصلت عن جماعة المسلمين ، وصارت لها عقائد وأحكام على حدتها وتأصلت العداوة بين الفريقين ، ومنها أن تركت هذه الفئة الثورة على السلطان وعدلوا عن القيام والجهاد .

نعم . كانت هناك فئات أخرى ممن سموا بالزيدية[2] ما تركوا الثورة

---

(١) يقول آيتهم العظمى محمد حسين آل كاشف الغطاء [ت ١٣٧٦ هـ] فى معنى الإمامة عندهم .. الإمامة منصب إلهى كالنبوة فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ، ويؤيده بالمعجزة التى هى كنص من الله عليه .. فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه ، وأن ينصبه إماما للناس من بعده [أصل الشيعة وأصولها ص ٥٨] فهم لا يفرقون بين النبوة والإمامة ولذا قال شيخهم المجلسى صاحب البحار ، ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء ، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة ، [بحار الأنوار : ٨٢/٢٦] بل جاء فى مصادرهم ما يرفع الأئمة فوق مقام الأنبياء ولذا عقد الكلينى والمجلسى أبوابا فى هذا المعنى منها ، باب أنهم أعلم من الأنبياء ،.. [بحار الأنوار : ٨٢/٢٦] ، باب تفضيلهم على الأنبياء وعلى جميع الخلق .. وأن أولى العزم إنما صاروا أولى العزم بحبهم صلوات الله عليهم ، واستشهد لهذا الباب بثمان وثمانين حديثا من أحاديثهم [المصدر السابق : ٢٦٧/٢٦ - ٣١٨] ، وباب أنهم يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشىء ، [أصول الكافى : ٢٦٠/١٢ - ٢٦٣] ومثل هذه الأبواب كثير لا مجال لذكرها جميعا .

(٢) الزيدية : أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وسموا بالزيدية نسبة إليه ، جعلوا الإمامة فى أولاد فاطمة دون غيرهم ، وقالوا كل فاطمى عالم شجاع سخى خرج بالإمامة فهو واجب الطاعة ، وجوزوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل والزيدية فرق : منهم من سلك مسالك الروافض وهم الجارودية ، وأقرب فرقهم لأهل السنة أصحاب الحسن بن صالح بن حى الفقيه ، وقد ثبت عنه : إن الإمامة فى جميع قريش وتولى جميع الصحابة رضى الله عنهم إلا أنه يفضل عليا على جميعهم [انظر عن الزيدية : مقالات الإسلاميين : ١٣٦/١ ، الفرق بين الفرق ص ٢٢ ، التبصير فى الدين ص ١٦ ، الملل والنحل : ١٥٤/١ ، الحور العين ص ١٥٥ ، المنية والأمل ص ٢٠ ، الزيدية / أحمد محمود صبحى .

والقيام[1] ، وسنرى بعض ما كان منهم ، ثم ظهرت فئة سميت بالإسماعيلية[2] ، وأتت بأعمال عظيمة ، وأسست دولا عديدة .

أما الفئة الجعفرية فرأت نفسها فى غنى عن الثورة والجهاد ، وانصرفت

---

(١) ولهذا جاء ذمهم عند الاثنى عشرية بسبب خروجهم عن مبدأ الانتظار ريثما يعود الغائب كما هى عقيدة الاثنى عشرية جاء فى كتاب الغيبة « عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام . قال : قلت له عليه السلام : أوصنى ، فقال : أوصيك بتقوى الله ، وأن تلزم بيتك ، وإياك والخوارج منا ، فإنهم ليسوا على شىء ولا إلى شىء » [الغيبة / للنعمانى ص ١٢٩ ، بحار الأنوار : ١٣٦/٥٢] قال شيخهم المجلسى : « والخوارج منا » أى مثل زيد وبنى الحسن [بحار الأنوار ١٣٦/٥٢] على أن المذهب تغير « وخرج عن أصوله ، على يد خمينى فى مذهبه القائل بعموم ولاية الفقيه عن الغائب بما فى ذلك الخروج ، وتولى رئاسة الدولة ، وتصدير الثورة ، بل إن خمينى كما خرج عن مذهبه فقد خرج عما قرره هو فى كتابه تحرير الوسيلة الذى يمنع فيه البدء بالجهاد حتى يخرج منتظرهم فناقض نفسه [انظر تحرير الوسيلة : ٤٨٢/١] .

(٢) الإسماعيلية : هم الذين قالوا : الإمام بعد جعفر إسماعيل بن جعفر ، ثم قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل ابن جعفر ، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر ، ومن الإسماعيلية انبثق القرامطة ، والحشاشون ، والفاطميون ، والدروز وغيرهم .

والإسماعيلية فرق متعددة ، وألقاب كثيرة ، إذ لهم - كما يقول الشهرستانى - دعوة فى كل زمان ، ومقالة جديدة بكل لسان ، وأما مذهبهم فهو كما يقول الغزالى وغيره : إنه مذهب ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر المحض ، ولكنهم لا يظهرون هذا فى أول أمرهم إذ لهم مراتب فى الدعوة ، وحقيقة المذهب لا تعطى إلا لمن وصل إلى الدرجة الأخيرة .

وقد اطلع على أحوالهم ، وكشف أستارهم جملة من أهل العلم كالبغدادى الذى اطلع على كتاب لهم يسمى « السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأكبر » ورأى من خلاله أنهم دهرية زنادقة يتسترون بالتشيع ، والحمادى اليمانى الذى اندس بينهم ، فعرف حالهم بالمشاهدة وبين ذلك فى كتابه « كشف أسرار الباطنية » وابن النديم الذى اطلع على « البلاغات السبعة » المتضمن درجات دعوتهم للناس ، وقرأ « البلاغ السابع » ورأى فيه أمرًا عظيمًا من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها .. وغيرهم .

وقد زاد نشاطهم اليوم ، ولهم جامعات فى الهند لتخريج دعاة يخرجونهم إلى شتى البلدان لنشر الدعوة لها على مراحل مدروسة .

انظر عن الإسماعيلية : فضائح الباطنية ص ٣٧ وما بعدها ، الفرق بين الفرق ص ٢٩٤ وما بعدها ، الفهرست ص ٢٦٧ ، تلبيس إبليس ص ٩٩ ، مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار ، الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ، وانظر فى مجلة الأزهر تقريرًا للبعثة الأزهرية إلى الهند عن الإسماعيلية : المجلد الثامن ص ٤٤١ عام ١٣٥٦ هـ ، والإسماعيلية لإحسان الهى ظهير .

عنها قانعة بما سن لها إمامها من إضمار البغض لعامة المسلمين ، وإطلاق اللسان فى ذمهم وقدحهم ، وتمنى البلاء والضراء عليهم ، والالتجاء إلى التستر والتقية ، بل إلى الإنكار والحلف بالله كذبا ، عندما بدا خوف أو ترتب ضرر .

فدام التباغض منذ ذاك ، وقام فى السر شعراء من بين الشيعة يقدحون فى خلفاء بنى العباس ويهجونهم (وربما يتجاوزونهم الى غيرهم من الخلفاء الراشدين) ويرون أئمتهم مظلومين مهضومين ، فيذمون الدهر ، ويشكون الزمان ، ومن عجيب ما نرى أن هؤلاء كانوا يحسبون الخلافة تراثًا من النبى يرثه أولاده . فنراهم قد احتجوا واستدلوا ، وجاوبهم شعراء بنى العباس .

فكان دعبل[1] من شعراء الشيعة ، وهو القائل :

أرى فيأهم فى غيرهم منقسما ... وأيديهم من فيئهم صفرات
هم أهل ميراث النبى إذا اعتزوا ... وهم خير قادات ، وخير حماتٍ[2]

وكان منصور بن سلمة النمرى[3] من شعراء العباسيين ، وهو القائل :

يا أيها الناس لا تعزب حلومكمو ... ولا تصفكم إلى أكنافها البدع
العم أولى من ابن العم فاستمعوا ... قول النصيحة إن الحق يستمع

ما أتوا من المجازفات

هذا ما كان من جعفر بن محمد من دعوى الإمامة والخلافة وتقليب التشيع الى عقائد مذهبية ، ويجب أن يعلم أن جعفرًا وأخلافه لم يقفوا عند هذا الحد ، بل أتوا بأمور منكرة كثيرة .

فبما أنهم كانوا يدعون الإمامة (بالمعنى الذى شرحناه) لم يحترزوا من أى

---

(١) دعبل بن على الخزاعى ، شاعر هجاء بذىء اللسان ، ولد سنة ١٤٨ ، وتوفى سنة ٢٤٦ هـ ترجمته فى تاريخ بغداد ٣٨٢/٨ ، والأعلام ٣٣٩/٢ .

(٢) ديوانه ، صنعة د . عبد الكريم الأشتر ، ص ٧٩ ، ٨٦ .

(٣) شاعر عباسى يظهر مناظرة الشيعة ، توفى عام ١٩٠ هـ تقريبًا . انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ٨٣٥-٨٣٨ ، والأعلام ٢٩٩/٧ .

خزعبل توحيه إليهم أهواؤهم ، فادعوا أن الله قد خلق العالم لأجلهم ، وأنه قد فوض أمور الناس إليهم ، وأنه بوجودهم ثبتت الأرض والسماء ، بيمينهم رزق الورى ، وأنه يجب أن يكون في كل زمان إمام منهم لولاه لساخت الأرض بأهلها ، وأنه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية ، ففي كتب الشيعة اليوم من هذه الأقاويل ما لو جمعت بين دفتين لصار كتابا كبيرا ، وها أنا آت هنا بأمثلة منها :

عن الصادق : « إن الأرض كلها لنا »[1] (في الكافي حديث طويل) .

عن الصادق : « اجعلوا لنا ربا نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم »[2] .

روى عبد الله بن بكر الأرجاني عن الصادق : « قال قلت : جعلت فداك ، فهل يرى الإمام ما بين المشرق والمغرب ؟ قال يابن بكر فكيف يكون حجة على ما بين قطريها وهو لا يراهم ، ولا يحكم فيهم ؟ »[3] .

---

(١) أصول الكافي : ١٠٨/١ (باب أن الأرض كلها للإمام) .

(٢) بحار الأنوار : ٢٨٣/٢٥ ، عن بصائر الدرجات ص ١٤٩ .

(٣) عقد صاحب الكافي والبحار أبوابا في هذا المعنى كثيرة فمن أبواب الكافي « باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون ، وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم » وذكر فيه ستة أحاديث من أحاديثهم منها « .. أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ، ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ... » « الله أجل وأعز وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يُحجب عنه علم سمائه وأرضه » [انظر أصول الكافي : ١/ ٢٦١-٢٦٢] .

ومن أبواب البحار : « باب أنهم عليهم السلام لا يحجب عنهم علم السماء والأرض والجنة والنار ، وأنه عرض عليهم ملكوت السموات والأرض ، ويعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة » وذكر فيه (٢١) حديثا [البحار : ١٠٩/٢٦-١١٧] ، « وباب أنهم عليهم السلام يعرفون الناس بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق ، وعندهم كتاب فيه أسماء أهل الجنة ، وأسماء شيعتهم وأعدائهم ، وأنه لا يزيلهم خبر مخبر عما يعلمون من أحوالهم » وذكر فيه (١٠) حديثا [السابق جـ ٢٦ ص ١١٧-١٣٢] « باب أن الله تعالى يرفع للإمام عمودًا ينظر به إلى أعمال العباد » وأورد فيه (١٦) حديثا [السابق جـ ٢٦ ص ١٣٢-١٣٦] و « باب أنه لا يحجب عنهم شيء من أحوال شيعتهم ، وما تحتاج إليه الأمة من جميع العلوم ، وأنهم يعلمون ما تصيبهم من البلايا ويصبرون عليها ولو دعوا الله في دفعها لأجيبوا ، وأنهم يعلمون ما في الضمائر وعلم المنايا والبلايا، وفصل الخطاب والمواليد » وفيه (٢٣) حديثا [السابق : ١٣٧/٢٦-١٥٤] .

عن الصادق : « ما من نبي ، ولا آدمي ، ولا إنس ، ولا جن ، ولا ملك في السموات ، إلا ونحن الحجج عليهم ، وما خلق الله خلقا إلا وعرض ولايتنا عليه ، واحتج بنا عليه ، فمؤمن بنا ، وكافر ،وجاحد ، حتى السموات والأرض والجبال » (في – المجلد السابع من البحار)(١) .

عن محمد بن سنان : « قال كنت عند أبي جعفر الثاني فذكر اختلاف الشيعة فقال إن الله لم يزل فردا متفردا في الوحدانية ، ثم خلق محمدا ، وعليا ، وفاطمة ، فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق الأشياء ، وأشهدهم خلقها ، وأجرى عليها طاعتهم ، وجعل فيهم ما شاء وفوض إليهم أمر الأشياء في الحكم ، والتصرف ، والإرشاد ، والأمر ، والنهي في الخلق ، لأنهم الولاة ، فلهم الأمر والهداية ، فهم أبوابه ، ونوابه ، وحجابه ، يحللون ما شاء ، ويحرمون ما شاء ، ولا يفعلون إلا ما شاء ، عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » (في الكافي)(٢) .

عن الباقر : « حبنا إيمان وبغضنا كفر » (الكافي)(٣) .

عن الصادق : « من عرفنا كان مؤمنا ، ومن أنكرنا كان كافرا(٤) (الكافي) .

عن الرضا : « إن أعمالكم تعرض علينا كل يوم »(٥) (في الكافي) .

وكانوا يدعون فيما يدعون أن القرآن لا يفهمه غيرهم ، ويفسرون الآيات كيفما شاؤا ، ويعلقون على بعضها حواشي من عندهم ، وإني آت ببعض أمثلة من هذا القبيل :

في القرآن : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾(٦) . عن الصادق :

---

(١) بحار الأنوار : (باب أنهم الحجة على جميع العوالم وجميع المخلوقات) ، جـ ٢٧ ص ١٦ .

(٢) بحار الأنوار : ٢٥/٣٣٩ .

(٣) أصول الكافي : ١/١٨٨ .

(٤) أصول الكافي : ١/١٨٧ .

(٥) أصول الكافي : ١/٢١٩ .

(٦) سورة النساء ، وقم الآية – ٤١ – .

« نزلت فى أمة محمد خاصة فى كل قرن منهم إمام منا ، شاهدًا عليهم ، ومحمد شاهدًا علينا »[1] (فى الكافى) .

فى القرآن : ﴿ فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾[2] . عن الباقر : « المؤمنون هم الأئمة »[3] . أيضا عنه : « إيانا عنى » (فى الكافى) .

فى القرآن : ﴿ وإن من شيعته لإبراهيم ﴾[4] . عن الصادق : « أى من شيعة على »[5] .

فى القرآن : ﴿ كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾[6] . عن الصادق : « الذى لا يعرف الإمام » (الكافى)[7] .

ما اخترعوا من الأكاذيب

وأما دعوى الخلافة وما كان يتبعها من دعوى النص على على فيمكننا هم على وضع أحاديث عن النبى وتأويل آيات من القرآن وتحريف أخبار الوقايع ؛ فإنهم استدلوا على دعاويهم بدلائل نذكر هنا بعضها :

الأول : أن الآية ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾[8] . نزلت فى على ، وقد فسرها النبى بقوله : « أوصيكم بكتاب الله ، وأهل بيتى ؛ فإنى سألت الله عز وجل أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما على الحوض ، فأعطانى ذلك »[9] ، وبغيره من أمثال هذا القول .

---

(١) أصول الكافى : ١/١٩٠ .
(٢) سورة التوبة ، رقم الآية -١٠٥- .
(٣) أصول الكافى : ١/٢١٩ .
(٤) سورة الصافات ، رقم الآية -٨٣- .
(٥) تفسير القمى : ٢/٢٢٣ ، بحار الأنوار : ٦٨/١٢-١٣ ، البرهان : ٤/٢٠ ، العالم الزلفى ص ٢٠٤ ، سفينة البحار : ١/٧٢٢ ، مجمع البحرين : ٢/٢٥٦ .
(٦) سورة الأنعام ، رقم الآية -١٢٢- .
(٧) أصول الكافى : ١/١٨٥ .
(٨) سورة النساء ، رقم الآية -٥٩- .
(٩) البرهان : ١/٣٨٢ .

الثانى : أن الآية ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكٰوة وهم راكعون ﴾[1] نزلت فى على ؛ فإن عليا كان يصلى ، فبينما هو راكع ، وعليه حلة قيمتها ألف دينار جاءه سائل وقال السلام عليك تصدق على مسكين ، فطرح على الحلة عليه ، وأومى بيده إليه أن أحملها فأنزل الله هذه الآية[2] .

الثالث : أن النبى لما رجع من حجة الوداع ووصل إلى غدير خم[3] هبط إليه جبرئيل مسرعا وأتى بالآية : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن[4] لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾[5] . وكان مراده النص على على ونصبه خليفة بعده ؛ فأمر النبى مناديا ينادى : الصلاة جامعة ؛ فلما نادى واجتمع الناس أقام الصلاة ، ثم أقيم له منبر من الأحجار ، فقام فيهم خطيبا وأعلن ما كان من أمر الله ، ثم رفع عليا بيده وقال : « من كنت مولاه فهذا على مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه »[6] . فبذلك نص على

---

(١) سورة المائدة ، الآية رقم -٥٥- .

(٢) البرهان : ٤٨٠/١ ، وقد تسربت مثل هذه الأخبار من طريق أهل السنة ، وقد كشف علماء الحديث عن وضعها ، حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية : أجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية فى ذلك من الكذب الموضوع [منهاج السنة : ٤/٤] يعنى قصة تصدق على وهو راكع . وعلامات الوضع ظاهرة من خلال السند والمتن (راجع المصدر السابق : ٤/٥-٩ جـ ١ ص ٢٠٨) ومع أنه ليس فى الآية ما يدل على مسألة الولاية التى هى عصب المذهب وأساسه فإنهم يعترفون بأن هذا أقوى ما يستدلون به من كتاب الله سبحانه على أمر الولاية (الإمامة) قال شيخ الطائفة - كما يلقبونه - الطوسى « وأما النص على إمامته من القرآن فأقوى ما يدل عليه قوله تعالى ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ [تلخيص الشافى : ١٠/٢] .

(٣) هو موضع بالجحفة بين مكة والمدينة انظر : معجم البلدان ٣٨٩/٢ .

(٤) فى الأصل : فإن .

(٥) سورة المائدة ، الآية رقم -٦٧- .

(٦) قوله : « من كنت مولاه فعلى مولاه » رواه الترمذى فى المناقب ، برقم -٣٧١٣- ، وأحمد فى المسند ٢٦٨/٤ ، ٢٧٠ ؛ عن أبى سريحة أو زيد بن أرقم وقال الترمذى حسن صحيح ؛ وهو كما قال ؛ وهو فى المسند عن زيد - دون شك - ورواه النسائى فى الخصائص (ص ٤١) وورد الحديث عن البراء ، وبريدة ، وغيرهما .

علي ، ونصبه على الخلافة بعده ، فأنزل الله : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[1] .

الرابع : لما مات النبي واجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعد[2] . وبايعوا أبا بكر كان علي مشتغلا بغسل النبي ، وتكفينه ، ولما فرغ ، وعلم ما كان ، تضجر كثيرا ، واعتزل في بيته محتجا ومعترضا ، وامتنع عن البيعة لأبي بكر ، وامتنع معه أصحابه من سلمان الفارسي ، والمقداد بن الأسود ، وأبي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وغيرهم ، وكان علي يأخذ بيد فاطمة ، وابنيه الحسن والحسين ، ويدور على المهاجرين والأنصار فيناشدهم حقه ، ويدعوهم إلى نصرته ، فما يجيبه أحد غير سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار ، ثم اجتمع اثنا عشر رجلا من المهاجرين والأنصار واستأذنوا عليا ، وصاروا إلى المسجد ، وأحدقوا بالمنبر ، وكان يوم الجمعة ، فلما صعد أبو بكر المنبر قاموا واحد بعد آخر واحتجوا عليه ، ولاموه ، معرفين له ما كانوا قد سمعوه عن النبي في حق علي وخلافته ، كل ذلك وأبو بكر قد أفحم لا يحير جوابا ، فلما فرغ آخرهم عن احتجاجه قال أبو بكر : « وليتكم ولست بخيركم ، أقيلوني » ، فقال له عمر : انزل عنها يا لكع ، فنزل ، وانطلق إلى منزله ، ولم يخرج منه ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع اجتمع عليه أربعة آلاف رجل فخرجوا شاهرين بأسيافهم ، يتقدمهم عمر ، فجاؤوا حتى وقفوا على المسجد ، فقال عمر : والله يا أصحاب علي لئن ذهب الرجل منكم يتكلم بالذي تكلم به بالأمس لنأخذن الذي فيه عيناه ، فقام إليه سلمان فأجابه بما أغضبه ، فهمّ به عمر فوثب إليه علي وأخذ بمجامع ثوبه ، ثم جلد به الأرض ، وقال : يابن الصهاك الحبشية[3] لولا كتاب من الله سبق ، وعهد من رسول الله تقدم ، لأريتك أينا

(١) سورة المائدة ، رقم الآية -٣- .

(٢) الصواب : بني ساعدة .

(٣) حاولت الروافض ما وسعهم المحاولة أو الحيلة أن ينالوا من الخليفة المعظم ، الفاروق بشتى الوسائل فقولهم « يابن الصهاك الحبشية » وهذه فيما زعموا وافتروا جدة عمر بن الخطاب جاء في دائرة المعارف الشيعية « وحكى بعض أصحابنا عن ابن شهراشوب وغيره أن صهاك كانت أمة حبشية لعبد المطلب »

أضعف ناصرا وأقل عددًا ، ثم التفت إلى أصحابه ، وقال : انصرفوا – رحمكم الله – فوالله لا دخلت المسجد الحرام إلا لزيارة رسول الله أو لحاجة أقضيها[1] .

وسنرى فيما يأتى ما فى هذه الأدلة من الافتراء على الله ، والنبى ، وتحريف القصص ، وتأويل الآيات .

كان العلويون براء من هذه البدع والآراء

ومما يجب أن يقال إن العلويين فى زمن جعفر كانوا براء من بدعه وآرائه . فإنه كان من مقدمى العلويين حينئذ زيد بن على عم جعفر ، ونحن رأينا أنه طالب بالخلافة وقام بالسيف ، ولم يكن رأيه إلا كآراء سائر المسلمين ، لا يعرف لأخيه محمد الباقر ولا لابن أخيه جعفر إمامة ، ولا يرى الخلافة إلا سلطانا يكتسب برضى الصلحاء من المسلمين وإجماعهم ، ويشهر السيوف على الجائرين ، ورأينا أيضا ما كان منه من الجواب على الروافض فى حق أبى بكر وعمر .

وكان من الوقائع المهمة فى زمن جعفر اجتماع العلويين فى المدينة ليبايعوا محمدا النفس الزكية المعروف بالمهدى ، وتبدى هذه الواقعة لنا آراء العلويين فى شأن الخلافة ، وقد ذكرها كثيرون من المؤرخين وأنا آت هنا ما قد ذكره أبو الفرج الأصبهانى الشيعى فى كتابه « مقاتل الطالبيين » ببعض الاختصار .

قد روى أبو الفرج عن رواته أن بنى هاشم اجتمعوا بالمدينة . فخطبهم

= وكانت ترعى له الإبل فوقع عليها نفيل فجاءت بالخطاب ، ثم إن الخطاب لما بلغ الحلم رغب فى صهاك فوقع عليها فجاءت بابنة فلفتها فى خرقة من صوف ورمتها خوفا من مولاها فى الطريق ، فرآها هاشم بن المغيرة مرمية فأخذها وربَّاها وسماها حنتمة فلما بلغت فرآها خطاب يوما فرغب فيها وخطبها من هاشم فأنكحها إياه فجاءت بعمر بن الخطاب فكان الخطاب أبا وجدًّا وخالا لعمر ، وكانت حنتمة أمًّا وأختا وعما له [دائرة المعارف الشيعية : ٢٩/٢٣] وانظر كتابهم الآخر [الأنوار النعمانية : ٦١/١] وهذه « الأسطورة » صاغها الخيال الرافضى الذى نزل فى مثل هذه المحاضن التى تختلط فيها الأنساب حيث يسقطون فى فوضى جنسية باسم المتعة ، والمتعة الدورية ، وعرية الفرج ... « ثم هم يكتشفون حقيقة نسب عمر بعد قرون فى حين لا يعلم بذلك أحد حتى الخطاب نفسه ... كما تنم هذه القصة .. فهى تكذب نفسها بنفسها .

(٢) بحار الأنوار : ١٨٩/٢٨–٢٠٣ ، الاحتجاج ص ٤٧–٥٠ .

عبد الله بن الحسن بن الحسن (أبو النفس الزكية) فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : إنكم أهل البيت قد فضلكم الله بالرسالة ، واختاركم لها ، وأكثركم بركة[1] وقد ترون كتاب الله معطلا ، وسنة نبيه متروكة ، والباطل حيا ، والحق ميتا ، قاتلوا لله فى الطلب لرضاه بما هو أهله ، وقد علمتم أنا لم نزل نستمع أن (هؤلاء)[2] القوم إذا قتل بعضهم بعضا خرج الأمر من أيديهم ، فقد قتلوا صاحبهم (يعنى : الوليد بن يزيد)[3] . فهلم نبايع محمدا وقد علمتم أنه المهدى . فقالوا لم يجتمع أصحابنا بعد ، ولو اجتمعوا فعلنا ، ولسنا نرى أبا عبد الله جعفر بن محمد . قال عبد الله لا ترسلوا إلى جعفر فإنه يفسد عليكم أمركم ، فأبوا ، فأرسلوا فأتاهم . فأوسع له عبد الله إلى جانبه ، وقال : قد علمت ما صنع بنا بنو أمية ، وقد رأينا أن نبايع لهذا الفتى ، فقال لا تفعلوا فإن الأمر لم يأت بعد . فغضب عبد الله وقال لقد علمت خلاف ما تقول . ولكنه يحملك على ذلك الحسد لابنى . فقال والله ما ذلك يحملنى ، ولكن هذا وإخوته وأبناءهم دونكم ، وضرب بيده على ظهر أبى العباس (السفاح) ونهض[1] .

فهذا الخبر يرينا ما كان عليه العلويون من الرأى والنظر ، يرينا أنهم ما كانوا يعرفون لجعفر ولا لآخر من بين العلويين إمامة (بمعناها الشيعى) ولا يرون فى أمر الخلافة إلا ما يراه الآخرون من المسلمين ، يرينا أن جعفرا كان متهما فى إخلاصه ، مظنونا بالحسد على النفس الزكية ، وبإفساد الأمر عليه وعلى الآخرين ، وأنتم ترون أنه لم يدخل فيما دخل فيه عظماء بنى هاشم واعتذر بعذر فاسد قائلا : « إن الأمر لم يأت بعد » ، ومن يعلم أن إباءه واعتذاره هذين لم يكونا من دواعى فشل محمد وأصحابه .

---

(١) بحار الأنوار : ٢٨/ ١٨٩ – ٢ ، ٣ ، الاحتجاج ص ١٧ – ٥٠ .
(٢) ما بين القوسين محى من المطبوعة ، وهو فى مقاتل الطالبين لأبى الفرج ، (ص ٢٥١) .
(٣) كلمة (يعنى : الو) امحت من المطبوعة وهى فى الوضع السابق من كتاب مقاتل الطالبين .
(١) بتصرف من : مقاتل الطالبين (ص ٢٥٣ – ٢٥٥) .

ثم إنكم ترون أن الرجل لما حضر أمام العلويين لم يبد عليهم ما كان من دعاويه ، لم يقل لهم إنى إمام يجب عليكم إطاعتى ، لم يقل لهم من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية ، لم يقل لهم إن الخليفة يجب أن يختاره الله وأنا اليوم خليفة الله المختار ، كتم عنهم كل ذلك ، ولكى لا يدخل فيما دخلوا اعتذر بذلك العذر الفاسد.[1]

أما ما نرى فى آخر الخبر من إخبار جعفر عن خلافة أبى العباس السفاح وأهله فمن الواضح أنه مما أضافه الرواة بعد ما انتهت الخلافة إلى بنى العباس وكان ذلك ديدن رواة الشيعة فى أكثر ما يزوون[2].

الزيدية والإسماعيلية

ومما توضح[3] براءة العلويين من تلك البدع والآراء أنهم لم يتركوا السعى فى سبيل الخلافة ، ولم يكترثوا بجعفر ولا بأخلافه ، فقام كثيرون منهم بالسيف كما كان أسلافهم يقومون ، وبما أنهم كانوا يتأسون بزيد بن على ، ويرون رأيه فى القيام بالسيف سموا بالزيدية . نعم إنهم لم يظفروا بما أرادوا (إلا قليلا) وقتلوا واحدًا بعد آخر ، وذلك لأن الشيعة كانت قد دب فيها فساد العقيدة ، وتفرق الأهواء . فكانوا لا يجتمعون على رجل . فضلا عما كان عليه العلويون من التحاسد فيما بينهم والعجلة فى

---

(١) هذا كله مبنى على اتهام المؤلف لجعفر الصادق ، ولكن الحق أن جعفر برىء أصلا مما ألصقته به روايات الاثنى عشرية ، التى لم تتورع من الكذب على على نفسه ، بل على رسول الله ﷺ بل على رب العالمين .

(٢) ما دامت الثقة مفقودة فى هذه الروايات ، فلم اعتمد المؤلف عليها فى الطعن بجعفر – رحمه الله – وبأبيه من قبل !

(٣) الصواب : يوضح .

ومن المعلوم أن ترك بعض العلويين الخروج لا يعنى قولهم بالغلو والإمامة ، بل إن من الظاهر من سيرة هؤلاء أنهم يقرون بخلافة الخلفاء من بنى أمية ، ثم من بنى العباس ، ولا يرون الخروج عليهم ، ومن أظهر الأمثلة على ذلك سيرة محمد بن الحنفية مع معاوية ثم مع الخلفاء من بعده . انظر مصادر ترجمته السابقة ، وانظر : الإرشاد للمفيد (ص ٢٦٩) ، وإعلام الورى (ص ٢٧٨) .

القيام والاغترار بالشجاعة .

وها أنا ذاكر هناك أسماء من اشتهر من هؤلاء القائمين وأزمان قيامهم :

١ - الحسين بن على المعروف بصاحب فخ . قام بالمدينة أيام الهادى ، وبايعه الطالبيون كلهم غير موسى بن جعفر ورجل آخر منهم .

٢ - يحيى بن عبد الله بن الحسن . قام فى ديلمان أيام الرشيد . واستحفل[1] أمره .

٣ - محمد بن ابراهيم ، قام مع أبى السرايا فى الكوفة أيام المأمون ، وكان معه كثيرون من العلويين ومن أعقاب جعفر ، منهم إسمعيل بن على بن إسماعيل ابن جعفر ، وإبراهيم بن موسى بن جعفر ، وزيد بن موسى بن جعفر .

٤ - محمد بن محمد بن زيد ، كان مع أبى السرايا ، ولما مات محمد بن ابراهيم خلفه هذا ، وبايعه أبو السرايا والعلويون ، واستفحل أمره .

٥ - محمد بن جعفر بن محمد ، قام بالمدينة أيام المأمون وبايع له من فى المدينة من العلويين .

٦ - محمد بن القاسم المعروف بالعلوى ، قام بطالقان أيام المعتصم .

٧ - محمد بن صالح . أقام فى أيام المتوكل .

٨ - الحسن بن زيد المعروف بالداعى الكبير ، قام بطبرستان ، وملكها

٩ - محمد بن زيد . خلف أخاه بطبرستان .

١٠ - يحيى بن عمر . قام بالكوفة فى أيام المستعين .

١١ - الناصر الكبير المعروف بالأطروش . قام بديلمان .

قد ذكر أبو الفرج الأصبهانى أخبار هؤلاء وغيرهم من القائمين بالسيف (غير الناصر الكبير) . ومن أراد الاطلاع بالتفصيل فعليه بكتاب مقاتل الطالبيين[2] .

---

(١) الصواب : استفحل .

(٢) انظر : مقاتل الطالبيين (ص ١٣١-١٦٤) ، (ص ١٦٣-١٨٦) ، (ص ٥١٨-٥٢٢) (ص ٥١٣-٥٢٦) ، (ص ٥٢٧-٥٤١) ، (ص ٥٧٧-٥٨٨) ، (ص ٦٠٠-٦١٤) (ص ٦٩٣-٦٩١) ، (ص ٦٣٩-٦٦٤) .

فترى أن هؤلاء العلويين لم يعبروا بآراء جعفر سمعا ولم يكترثوا لها . بل الحق أنهم لم يسمعوها ولم يطلعوا عليها ، فإن جعفرًا كان يكتمها ، ولا يظهرها إلا لرهط من بطانته الغلاة .

ثم إن جعفرًا اختار ابنه إسماعيل[١] لينوب عنه بعد موته . ولكنه مات قبل أبيه فاختار جعفر ابنه موسى[٢] .

بيد أن طائفة من أتباعه لم ينقادوا لإسماعيل[٣] ولم يعتدوا بما كان من جعفر فيه . بل بقوا على إسماعيل ، وبلغ اتباع الأوهام منهم إلى أن أنكروا موته ، فادعوه حيا لم يمت ، وزادوا فى الضلالة على الروافض ، وصاروا فئة على حدتها سميت بالإسماعيلية أو الباطنية ، ثم إنهم سعوا لاكتساب السلطان كالزيدية وأسسوا دولة القرامطة فى اليمن ، وخلافة الفاطميين فى مصر ، وظهرت عنهم فظايع كثيرة لا محل لذكرها هنا .

ومما يجب أن يعلم أن الروافض (أو الشيعة الإمامية كما كانوا يسمون أنفسهم) لما افترقوا عن جماعة المسلمين لم يستمروا على وحدتهم ، بل تفرقوا شيعا ، وظهرت منهم فرق أشد كفرا ، وأوضح ضلالة ، فقد عد فخر الدين الرازى فى كتابه « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » ثلاث عشر فرقة منهم[٤] (عدا الغلاة الذين أفرد لهم ذكرا) . ثم قال : « وهذا الذى ذكرناه فى الإمامية قطرة من بحر . لأن بعض الروافض قد صنف كتابا وذكر فيه ثلاثا وسبعين فرقة من الإمامية »[٥] .

---

(١) إسماعيل بن جعفر الصادق ، مات فى حياة أبيه ، وقد جعلته الإسماعيلية إماما ، وغلت فيه ، ومنهم من أنكر موته ، ومنهم من ادعى تسلسل الإمامة فى ذريته ، كانت وفاته سنة ١٤٣ هـ . انظر : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجى ٨٥/١ ، الأعلام ٣١١/١ ، الإسماعيلية لإحسان إلهى ظهير (ص ٥٦-٦٩) .

(٢) موسى بن جعفر الصادق ، أبو الحسين المدنى الكاظم ، وثقه أبو حاتم الرازى وغيره ، كان مولده سنة ١٢٨ هـ ، ووفاته سنة ١٨٣ هـ فى بغداد . انظر : تهذيب التهذيب ٣٤٠/١٠ .

(٣) لعل الصواب : لم ينقادوا لموسى .

(٤) الصواب : ثلاث عشرة فرقة .

(٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى (ص ٨٥) .

وإجمال القول عن جعفر وأتباعه أن طائفة من الشيعة كانوا قد لجبدر وغالوا فى الحب والبغض ، فاستهواهم جعفر واستعملهم فى سبيل أهوائه ، وابتدع لهم مذهبا ، بيد أن هؤلاء لم يكتفوا بآرائه ، ولم يعرفوا للكفر والإلحاد حدا يقفون عنده ، فسابقوا إمامهم وسبقوه .

أخلاف جعفر

مات جعفر بن محمد عام ١٤٨ من الهجرة ، وخلفه ابنه موسى وهو ابن عشرين سنة ، فسلك مع حداثة سنه مسلك أبيه ، فكان يدعى الإمامة والخلافة ، ويبدى جزافات أبيه عند أشياعه ، وينكر كل ذلك عند الآخرين ، يتستر بستار التقية ، ويبغى على المسلمين الغوائل . ولكنه كان أقل حظا من أبيه ، فإنه لم يتمتع مما كان يصل إليه سرا من أموال شيعته أكثر من سبع أو ثمان سنين حتى سعى به إلى هرون الرشيد ابن أخيه على بن إسماعيل ، فقبض عليه ، وسجن ، وعاش فى السجن سبعة وعشرين عاما حتى مات .

ذكر أبو الفرج الأصبهانى أن هرون لما سعى إليه بموسى حج فى تلك السنة فبدأ بقبر النبى فقال : « يا رسول الله إنى أعتذر إليك من شىء أريد أن أفعله ، أريد أن أحبس موسى بن جعفر فإنه يريد التشتت بين أمتك ، وسفك دمائها » . ثم أمر به فأخذ وسير به إلى بغداد .

ثم ذكر أنه لما مات موسى فى السجن أخرج فوضع على الجسر ببغداد فنودى : هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه ، فجعل الناس يتفرسون فى وجهه وهو ميت وحدثنى رجل من أصحابنا عن بعض الطالبيين أنه نودى عليه : هذا موسى بن جعفر الذى تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه[1] .

وهذا يرينا ما كان عليه الروافض من الافتضاح عند المسلمين ، فإنهم كانوا ينكرون موت من شاؤوا من أئمتهم (كما أنكرت الإسماعيلية موت إسماعيل ،

---

(١) مقاتل الطالبيين (ص ٥٠٢ ، ٥٠٤ – ٥٠٥) .

وأنكرت الناموسية[1] موت جعفر) . كان المسلمون يحتاجون إلى استشهاد الشهود على موت من مات منهم .

وبعد موت موسى خلفه ابنه على الرضا[2] وسلك مسلك جده وأبيه ، ومن نصصه أنه دعاه المأمون إلى خراسان وصيره ولى عهده ، وقد ذكر الشيخ المفيد أن المأمون قال للرضا : « إنى أريد أن أخلع نفسى من الخلافة وأقلدك إياها فما رأيك ؟ » فأنكر الرضا هذا الأمر ، وقال : « أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد » . فرد المأمون عليه الرسالة : « فإذا أبيت ما عرضت عليك فلابد من ولاية العهد من بعدى » ، فأبى عليه الرضا إباء شديدا ، فاستدعاه إليه ، وخلا به ومعه الفضل بن السهل ذو الرياستين ليس فى المجلس غيرهم ، وقال له : « إنى قد رأيت أن أقلدك أمر المسلمين ، وأفسخ ما فى رقبتى وأضعه فى رقبتك » . فقال له الرضا : « الله الله يا أمير المؤمنين إنه لا طاقة لى بذلك ، ولا قوة لى عليه » . قال له : « فإنى موليك العهد من بعدى » . فقال له : « أعفنى من ذلك يا أمير المؤمنين » . فقال له المأمون كلاما كالتهديد على الامتناع عليه إلى آخر ما ذكر[3] .

فانظروا كيف كانوا يسدلون الستار على دعاويهم عند الخلفاء وغيرهم ويرون أنفسهم كالآخرين من عامة المسلمين ، فلسائل أن يسأل : « لم امتنع الرضا عن قبول الخلافة ؟! .. لم تعاجز عما كان يدعيه حقا له من الله ؟! .

---

(١) الناموسية تصحيف ، وصحتها « الناوسية » ويبدو أن المؤلف تابع ما جاء فى كتاب « اعتقاد فرق المسلمين » حيث ورد فيه « الناموسية » وهو تحريف ، كما قلنا وسموا بذلك لأن رئيسهم يقال له عجلان ابن ناوس أو يقال له ناوس ، وقيل نسبوا إلى قرية ناووسا [انظر مقالات الإسلاميين : ١/١٠٠ ، الملل والنحل : ١/١٦٦–١٦٧ ، الفرق بين الفرق ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٦١ ، اعتقاد فرق المسلمين ص ٨٠ ، الحور العين ص ١٦٢] .

(٢) على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، من أهل العلم والفضل مع شرف النسب ، عقد له المأمون ولاية العهد وألبس الناس الخضرة ، ومات مسموما – فيما يقال – سنة ٢٠٣ هـ وقد ابتلى بكذابين يفترون عليه . قال ابن السمعانى : « ما روى عنه إلا متروك » . انظر تهذيب التهذيب ٧/٣٨٩

(٣) انظر : الإرشاد للمفيد ص ٣١٨ .

ففي أي الأمرين كذب : أفي ادعائه ذاك أم في تعاجزه هذا ؟! ..

ثم لما مات الرضا (أو سُمّم كما ادعته الشيعة) خلفه ابنه محمد التقي[1] ، وخلف محمدًا هذا ابنه علي النقي[2] ، وخلف عليا ابنه الحسن المعروف بالعسكري[3] ، ولكنا لا نعرف من أمور هؤلاء إلا قليلا ، والظاهر أنهم كانوا خاملي الذكر لا يعرفهم إلا أتباعهم وقليلون من الآخرين .

ونرى في الكتب أنهم كان لهم أمناء في البلاد يجمعون الأموال من الشيعة ، ويرسلونها إليهم ، ونرى أنه كلما مات إمام توقف عليه بعض أمنائه ، وأنكروا موته ولم ينقادوا لخلفه وذلك للطمع في الأموال التي كانت بأيديهم[4] .

الإمام الغائب

ثم لما مات الحسن العسكري ، وذلك عام ٢٦٠ من الهجرة ، كانت هناك الداهية الدهياء . فإن الحسن لم يكن له عقب . فتحير الروافض وتفرقوا فرقا[5] . فذهبت طائفة إلى أن الإمامة قد انقطعت وتمت ، واتبعت فئة منهم جعفر بن علي (أخا الحسن) . وقام عثمان بن سعيد[6] من أمناء الحسن وأتى بدعوى من أعجب الدعاوى .

---

(١) محمد بن علي بن موسى بن جعفر عقد في حياة أبيه على أم الفضل بنت المأمون ودخل بها سنة ٢١٥ هـ . انظر : البداية والنهاية ١٠/٣٠٥ .

(٢) علي بن محمد بن علي بن موسى .. الهاشمي .

(٣) الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الهاشمي تعده الاثنا عشرية إمامها الحادي عشر يعرف بالعسكري [وفيات الأعيان : ٢/٩٤-٩٥ ، اللباب في تهذيب الأنساب ٢/١٣٧] .

(٤) انظر : رجال الكشي ص ٤٩٣ رقم ٩٤٦ ، وص ٥٩٨ رقم ١١٢٠ ، الغيبة للطوسي ص ٤٣ الإمامة لابن بابويه ص ٧٥ ، بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٥٣ .

(٥) ولقد اعترفت كتب الشيعة نفسها بهذا التفرق فيذكر النوبختي أن فرقهم بلغت إثر وفاة الحسن أربع عشرة فرقة [فرق الشيعة للنوبختي ص ٩٦] ومثله شيخهم المفيد [الفصول المختارة للمفيد ص ٢٥٨] على حين يذكر القمي أنها بلغت خمس عشرة فرقة (المقالات والفرق للقمي ص ١٠٢) ويذهب المسعودي إلى القول بأن اختلاف شيعة الحسن بعد وفاته وصل إلى عشرين فرقة [مروج الذهب ٤/١٩٠] .

وذلك لأن الحسن مات عقيما كما يؤكده علماء التاريخ والنسب ، ومذهب الروافض قائم على استمرار الإمامة في عقب الحسن ...

(٦) عثمان بن سعيد العمري صاحب دعوى وجود المهدي المزعوم [محمد بن الحسن العسكري

فإنه ادعى أن الحسن له ولد فى الخامس من سنيه ، مختف فى السرداب لا يظهر لأحد غيره ، وهو الإمام بعد أبيه ، وادعى أنه اتخذه الإمام المختفى بابًا له ، ونائبا عنه بين الناس ، فعلى الشيعة أن يعرفوه ويعطوه الأموال التى للإمام قبلهم .

فترون أن الرجل قد ادعى محالا ، فإنه كيف يولد لرجل ولد ، ويأتى عليه خمس سنين من غير أن يطلع عليه أحد من أقاربه وجيرانه ؟!. فضلا عن أن الحسن لما مات طالب أخوه جعفر بتراثه . فأرسل السلطان إلى دار الحسن من يفحص عن ولد له ، ويختبر جواريه . فتبين أنه لم يكن له ولد ، ولن يكون ، فتركوا التراث لجعفر[1] .

وبعدُ لمَ اختفى الإمام وممّ كان يخاف ؟! قيل : كان يخاف من أعدائه[2] . فأقول هل كان له أعداء غير من كانوا أعداء لآبائه ؟!. فلم لم يخف آباؤه ولم يختفوا من قبل ؟!.

ثم إنهم كانوا يعيشون بالتقية وأى خوف لمن يعيش بالتقية يا ترى ؟!. وكفى دليلا على ضلال قوم انقيادهم لدعوى كهذه ، وحق القول أن التعصب كان قد أعمى قلوب الشيعة ، فكانوا طوع أهوائهم ، ينقادون

= والمدعى أنه نائبه ، توفى سنة ٢٨٠ هـ . انظر : فضائل الفكر لمحمد صالح (ص ٣٦-٣٧) والغيبة للطوسى (ص ٢١٤) وما بعدها .

(١) انظر المقالات والفرق للقمى ص ١٠٢ ، الغيبة للطوسى ص ٧٤ .

(٢) قال شيخ الطائفة « الطوسى » لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل .. [الغيبة ص ١٩٩] وانظر أصول الكافى : ٣٣٨/١ ، الغيبة للنعمانى ص ١١٨ ، [كمال الدين ص ٤٤٩] ، مع أنهم يقررون – كما جاء فى أبواب الكافى التى هى كالقواعد والأصول عندهم – أن الأئمة « يعلمون متى يموتون ولا يموتون إلا باختيار منهم » [أصول الكافى : ٢٥٨/١] وأنهم « يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم الشىء » [أصول الكافى : ٢٦٠/١] فمن هذا شأنه – على وفق اعتقادهم – كيف يخاف وأنى يخاف ، ومن الطريف أن الخمينى يقرر فى كتابه دروس فى الجهاد والرفض أنه لم يخف طيلة حياته حتى يوم قبض عليه حرس الشاه لأن الخوف كما يقول لم وليس له . فهل خمينى أكمل من معصوميهم وغائبهم !!

لكل ما يوافق أغراضهم ، ولا يرون إلى التعقل والاستدلال أدنى حاجة ، أفكان عجيبا منهم إدعاءهم بوجود إمام مختف فى السرداب وهم الذين كانوا ينكرون موت من مات إذا وافق هواهم .

ثم إن موت الحسن بلا عقب كان حادثا مشئوما شائنا على الروافض هادما لبنيان مذهبهم ، فإنه غادرهم بلا إمام ، وصار يهدد جمعهم بالتشرد ، فضلا عن كونه يفضحهم ويبين كذب ما رووا عن أئمتهم من أن الأرض لا تخلو من إمام ، وأنه لولا الإمام لساخت الأرض بأهلها[1] .

وأما ما كان من فئة منهم من التعلق بذيل جعفر بن على[2] واتخاذه إماما فإنه لم يكن ليجدى نفعًا ، لأنهم كانوا قد رووا فيما رووا عن أئمتهم أنه لا يجتمع الإمامة فى أخوين بعد الحسن والحسين وكان هذا قد اشتهر عنهم[3] .

فكان الحادث فاجأهم وحيرهم حين قام عثمان بن سعيد ، وأدرك الأمر بما اخترع من الأكذوبة ، فلا عجب أن انقاد له جلهم ورضوا به بابا للإمام المختفى يوصل إليه منهم الأموال ، ويخرج منه إليهم « توقيعات »[4] .

ويظهر من أخبارهم أنه كان يوهمهم إياه مقيما فى سامرا فى بعض دورها . فكان لا يسميه باسم بل ينهى عن التسمية لكيلا يشتهر ويطلب[5] .

ولما مات عثمان بعد سنين خلفه ابنه محمد بن عثمان[6] ، فكان يعمل عمل

---

(١) انظر أصول الكافى ، باب أن الأرض لا تخلو من حجة : ١/١٧٨-١٧٩ .

(٢) جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر ، أخو الحسن العسكرى .

(٣) انظر أصول الكافى ، باب ثبات الإمامة فى الأعقاب وأنها لا تعود فى أخ ولا عم ولا غيرهما من القرابات : ١/٢٨٥ .

(٤) التوقيعات : هى خطوط الأئمة فيما يزعمون فى الجواب على سؤالات الشيعة واستفتاءاتهم وكان الذين يقومون بتزويرها هم « النواب » .

(٥) انظر أصول الكافى ، باب فى النهى عن الاسم : ١/٣٣٢ .

(٦) محمد بن عثمان بن سعيد العمرى ادعى دعوى أبيه فى البابية ، وتوفى سنة ٣٠٥ هـ . انظر الغيبة للطوسى (ص ٢١٤ وما بعدها) .

أبيه : يجمع الأموال ويخرج التوقيعات ، ولكنه عارضه غير واحد من مدعى البابية فجرت مخاصمات وخرجت توقيعات من الإمام فى اللعن عليهم ، والتبرء منهم .

وعاش محمد بن عثمان أعواما كثيرة ، ولما مات ناب عنه الحسين بن روح النوبختى[1] (من الإيرانيين) ، وعارضه أيضا معارضون من مدعى البابية وكان منهم محمد بن على الشلمغانى[2] وهو القائل :

« ما دخلنا مع أبى القاسم الحسين بن روح فى هذا الأمر إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه ، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما يتهارش الكلاب على الجيف »[3] .

ولقد صدق فيما قال . فإن التخاصم لم يكن إلا لأجل الأموال ، كان الرجل يجمع الأموال ويطمع فيه فيدعى البابية لكيلا يسلمه إلى آخر . .

ولما مات الحسين ناب عنه محمد بن على السيمرى[4] ، وكان هو آخر الأبواب . فإنه لما حضرته الوفاة عام ٣٢٩ من الهجرة (بعد مضى سبعين عاما من موت الحسن العسكرى) لم يوص إلى أحد . بل أخرج توقيعا يقال فيه :

« فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جورا »[5] .

---

(١) الحسين بن روح النوبختى ، المدعى الثالث للبابية ، توفى سنة ٣٢٦ هـ . انظر : المصدر السابق ، والاحتجاج للطبرسى ٢/٢٩٦ .

(٢) محمد بن على الشلمغانى ، من مدعى البابية ، وله معتقدات قبيحة كالقول بالتناسخ ، قتل سنة ٣٢٣ هـ . انظر : المصادر السابقة ، والكامل لابن الأثير ٨/٢٩٠ .

(٣) الغيبة للطوسى ص ٢٤١ .

(٤) آخر النواب هذا أبو الحسن على بن محمد السيمرى ، المتوفى سنة ٣٢٩ ومن بعده وقعت الغيبة الكبرى . انظر : المصادر السابقة .

(٥) انظر « التوقيع » الذى صدر عن السيمرى فى إكمال الدين ص ٤٥١ ، والغيبة للطوسى ص ١٧٧ ، والاحتجاج للطبرسى ص ١٦٣ ، ووسائل الشيعة : ١٨/١٠١ .

هذا ما كان من عثمان بن سعيد وأخلافه (ويسميهم الروافض بالنواب الأربعة) ، وبذلك تطور التشيع تطورا آخر ، ودخل فيه الاعتقاد بالإمام المختفى ، وإن شئت فقل بالإمام المعدوم ، وقد اخترع عثمان وأخلافه أكاذيب كثيرة وسيروها بين الروافض لا محل لذكرها هنا .

وكان من أعمال هؤلاء أنهم ادعوا المهدوية لإمامهم المختفى وجعلوها ركنا من أركان مذهبهم ، فمن الواجب علينا أن نتكلم عنها ونبين ما فيها . بيد أن للمهدوية تاريخا على حدتها ، فيجب علينا أن نتكلم عنها وعن تاريخها أولا ، ثم نعود إلى ما كنا فيه .

الفصل الثانى

فى تاريخ المهدوية وكيفية ظهورها

كيف ظهرت المهدوية ؟.

لا يخفى أن قدماء الإيرانيين كانوا يعتقدون بإله خير ، ويسمونه « يزدان » وبإله شر ، ويسمونه « إهريمن » ، وكانوا يزعمون أن هذين الإلهين لن يزالا يحكمان على الأرض حتى يقوم « ساوشيانت » بن زردشت النبى ، فيغلب على إهريمن ويبيده ويصير العالم مهدا للخير لا يحكمه إلا يزدان ، فكانوا ينتظرون ساوشيانت ، وكان هذا المعتقد قد تأصل فى قلوبهم ، وازداد أغصانا وأوراقا بمرور الدهور ، شأن كل معتقد من مثله .

فلما ظهر الإسلام ، وفتح المسلمون العراق وإيران ، واختلطوا بالإيرانيين سرى ذلك المعتقد منهم إلى المسلمين وفشا بينهم بسرعة غريبة ، ولسنا على بينة من أمر كلمة « المهدى » ، فلا نعلم من وضعها ، ومتى وضعها .

والظاهر أن أول من سمى من المسلمين بالمهدى محمد بن حنفية . وذلك أنه لما قام مختار بن أبى عبيدة[1] بالكوفة ، وأخذ بزمام الحكومة اختار محمد بن حنفية للخلافة ، ودعا الناس إليه (كما ذكرنا هذا قبلا) ، ولأن أكثر أتباع مختار كانوا من الإيرانيين دعا هؤلاء محمدا بالمهدى ، وتفاءلوا منه كل خير ، ولما مات محمد بعد سنين لم يذعنوا بموته ، وزعموا أنه لا يزال ، ولن يزال حيا فى جبل رضوى حتى يرجع ويظهر ويقوم بالأمر ، وكان قائد هذه الطائفة من الإيرانيين كيسان مولى مختار[2] ، فسميت

---

(١) الصواب : ابن أبى عبيد .

(٢) لم أجد — فى حدود اطلاعى — من قال بأن كيسان مولى مختار وجاء فى كتب المقالات بأنها سميت بالكيسانية : لأن المختار كان يقال له كيسان ، (ولذا سميت بالمختارية عند بعض المؤلفين فى الفرق) وقيل : إنها سميت بذلك نسبة إلى رجل يقال له كيسان وهو مولى لبطن من بجيلة فى الكوفة ، وقيل —

بالكيسانية[1] لأجله ، ويظهر أنها دامت بعد مقتل مختار فكانت تنتظر عود محمد . وكان منها السيد الحميرى الشاعر[2] وهو القائل شعرا :

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحقّ أربعة سواءُ
علىٌّ والثلاثةُ من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاءُ
فسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبرٍّ ... وسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبلاءُ
وسِبْطٌ لا يذوقُ الموتَ حتّى ... يقودَ الجيشَ يَقْدُمُه اللواءُ
يغيبُ لا يُرى فيهم زمانا ... برَضْوَى عنده عسل وماءُ[3]

ثم لما تأصل المعتقد فى قلوب المسلمين اتخذه طلاب الخلافة ذريعة إلى مأربهم ، فاستفادوا منه كما كانوا يستفيدون من وضع الأحاديث ، فإنا نرى فى الكتب أحاديث عن النبى ، أو عن على ، ونعلم علم اليقين أن كل واحد منها وضعه طائفة أخرى .

= مولى لعلى بن أبى طالب [مقالات الإسلاميين : ٩١/١ ، وانظر بقية المصادر فى الهامش التالى] .

(١) الكيسانية من غلاة الشيعة كانت تقول بإمامة محمد بن الحنفية ، وهى فرق بلغت عند الأشعرى إحدى عشرة فرقة ، يرجع محصلها - كما يرى البغدادى - إلى فرقتين لفرقة تقول : إن محمد بن الحنفية لم يمت وهو المهدى المنتظر ، ولفرقة أخرى ينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره ، ويختلفون بعد ذلك فى المنقول إليه . وقد نسب إلى المختار - المنسوبة له هذه الفرقة عند غالب أصحاب الفرق - دعوى نزول الوحى ، والقول بالبداء ، وضلالات أخرى . انظر عن الكيسانية :
[الفرق بين الفرق : ص ٢٣ ، ٢٨ ، ٥٣ ، الفصل : ٣٥/٥ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٣-٩٥ ، الحور العين ص ١٥٧ وما بعدها ، مسائل الإمامة ص ٢٥ وما بعدها ، المقالات والفرق ص ٢١-٢٢ ، فرق الشيعة ص ٢٣-٢٤ ، ٢٧ ، وانظر : الكيسانية فى التاريخ والأدب] .

(٢) إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميرى شاعر إمامى ولد سنة ١٠٥ وتوفى سنة ١٧٣ هـ ، فوات الوفيات ١٨٨/١ ، الأعلام ٣٢٢/١ .

(٣) انظر ديوانه ، جمع شاكر هادى شكر ، منشورات مكتبة الحياة ، ص ٥١ ، والأبيات منسوبة لكثير عزة ، انظر : الأغانى ١٤/٩ ، الديوان ١٨٦/٢ ، عيون الأخبار ١٤٤/٢ ، السير ١١٦/٤ .

فمن تلك الأحاديث : « يظهر المهدى بظهر الكوفة »[1] ، ولا ريب أنه وضعته أتباع زيد بن على ، فإن زيدًا هو الذى ظهر بظهر الكوفة ، ومن المعلوم عندنا أن أتباعه كانوا يدعون له المهدوية ، فإنا نرى شاعرًا قد قال بعدما قتل :

صلبنا لكم زيدًا على جزع نخلة ولم أر مهديا على الجذع يصلب

ومن تلك الأحاديث : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتى ، يواطئ اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى »[2] . ولا ريب أن هذا قد وضعته أصحاب محمد بن عبد الله النفس الزكية ، فإنه كان معروفا بكونه المهدى منذ صباه ، ورأينا أن بنى هاشم لما اجتمعوا بالمدينة قدموه مع حداثة سنه على الآخرين ، وبايعه عظماء بنى هاشم ، وكان فيهم أبوه عبد الله وأعمامه ، وأبو العباس السفاح ، وأخوه أبو جعفر المنصور ، ومما قيل فى محمد قول الشاعر :

وإن يك ظنى فى محمد صادقا يكن فيه ما تروى الأعاجم فى الكُتْب

وهذا الشعر من الدلائل على أن الاعتقاد بالمهدوية لم يكن بين المسلمين وأنه إنما سرى إليهم من الإيرانيين .

وآخر من تلك الأحاديث : « إذا رأيتم الأعلام السود من جانب خراسان فاستبشروا بظهور مهدينا »[3] . ولا ريب أنه من موضوعات بنى العباس فإنهم هم الذين اتخذوا أعلاما سودا وكانوا ينتظرون ظهور أنصارهم من جانب خراسان .

---

(1) أورد السيوطى فى العرف الوردى عددًا من الأحاديث بهذا المعنى ، ولم نجد اللفظ بحروفه ، انظر الحاوى ٦٧/٢ ، ٧٢ وقد صح فى روايات كثيرة أنه يخرج بمكة انظر : المسند ٢٩١/٢ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥١ ، والمستدرك ٤٢١/٤ ، ٤٥٢ .

(2) حديث صحيح ، رواه أبو داود فى سننه ١٧٣/٤ ، ١٧٤ . وروى نحوه الترمذى ٥٠٥/٤ وقال حسن صحيح .

(3) رواه أحمد (٢٧٧/٥) والحاكم (٥٠٢/٤) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ونسبه السيوطى فى العرف الوردى لأبى نعيم ، ونعيم بن حماد ، انظر الحاوى ٦٣/٢ . وروى نحوه ابن ماجه فى سننه ١٣٦٧/٢ وصححه البوصيرى وابن كثير وغيرهما . انظر : الزوائد ٢٦٣/٣ ، والنهاية ٤٠/١ ، ولو أن المؤلف استشهد بالأحاديث التى فيها أن المهدى من ولد العباس لكان أصاب .

بعض من قام من المهديين

هذا ما كان من ظهور الاعتقاد بالمهدى وشياعه بين المسلمين ، فترون أنه ما كان إلا خرافة إيرانية لا صلة بينها وبين الإسلام ، ولكنها لما شاعت راجت بين المسلمين أكثر مما كان بين الإيرانيين أنفسهم ، وذلك لما كان من استيلاء بنى أمية على الخلافة وعتوهم وتضجر المسلمين منهم واستيائهم ، فأتت الخرافة فى حين الحاجة إليها ، فعللوا به أنفسهم وارتاحوا إليه ، وصاروا يرجون ظهور المهدى ، وزادها رواجا ما كان من طالبى الخلافة من التذرع بها ، ووضع الأحاديث عن النبى فيها ونشرها بين الناس[1] .

ثم ترون أن الأقدمين من المسلمين ، كانوا لا يعرفون المهدى إلا رجلا صالحا غيورا على الحق ، يثور على الظالمين ، ويقهرهم ، ويحيى الكتاب والسنة ، لا يزيدون على ذلك شيئا ولا يرون ظهوره إلا أمرًا قريبًا .

إلا أن الخرافة لم تقف عند هذا الحد ، بل نمت بمرور الزمان ، فزاد الخراصون أوصافًا على المهدى حتى صيروه مبعوثا إلهيا (تاليًا للنبى) يقوم حين يقوم بأمر الله ، ويفعل كلما يفعل بمشيته ، وينزل عيسى من السماء ليصلى خلفه[2] ، ثم إنهم أخروا ظهوره إلى آخر الزمان .

وخلاصة القول أنه من الخرافات الدخيلة فى الإسلام ، وليست الأحاديث المروية عن النبى أو عن على إلا أكاذيب وضعها الواضعون لحاجة فى نفوسهم قضوها ، ومن العجب أنه قام حتى الآن أكثر من خمسين رجلا وادعى كل منهم المهدوية لنفسه ، وأريقت دماء كثيرة ، ولم يتم الأمر بعد ، ولم ينقطع الانتظار[3] .

---

(١) جاء فى المهدى أحاديث صحاح ، وحسان ، وضعاف ، وقد حكم بتواترها عدد من الأئمة كأبى الحسين الآبرى ، والبرزنجى ، والسفارينى ، والشوكانى ، وصديق حسن خان ، والكتانى . وانظر : عقيدة أهل السنة والأثر فى المهدى المنتظر للشيخ عبد المحسن العباد ، ص ١٧١ - ١٧٥ .

(٢) صلاة عيسى عليه السلام خلف المهدى صحيحة وثابتة ، بل جاء ما يدل على ذلك فى صحيح مسلم دون التصريح باسم المهدى ١/١٣٧ .

(٣) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٨/٢١٨ ، ١٠/٨٤ ، ١٥١ ، ١١/٨١ ، ٩٦ ، ٢٥٣ ، ٢٦٥ ، =

وقد أسس بعض هؤلاء المتمهدين دولا ، لورود ذكرهم في التاريخ ، وسـ
آت بذكر مختصر عن كل واحد منهم :

١ - عُبيد الله الفاطمي من أئمة الإسماعيلية ادعى المهدوية في أواخر القرن الثالث للهجرة ، فأرسل دعاة إلى إفريقيا ليبشروا الناس بظهوره ، وسار هو خلفهم ، فألف هناك أنصارا ، وأسس دولة الفاطميين .

٢ - محمد بن عبد الله بن تومرت ، قام بمراكش في أوائل القرن السادس ، واستولى عليها بعد حروب ، وأقام دولة الموحدين .

٣ - السيد محمد المشعشعي الواسطي ، قام بخوزستان في أواسط القرن التاسع بدعوى المهدوية ، واستولى عليها وعلى غيرها من جوانبها ، وأسس دولة المشعشعين .

٤ - محمد أحمد السوداني ، قام بسودان في آخر القرن التاسع عشر ، وحارب المصريين والإنجليزيين ، وكسرهم غير مرة ، واستولى على السودان وأسس هناك سلطانا وكان آخر المتمهدين .

وسنذكر ما كان من السيد علي محمد الباب من دعوى البابية والمهدوية .

تمسك الروافض بالمهدوية

وكان ممن تمسك بخرافة المهدي واستفاد منه الروافض أو الشيعة الإمامية ، والحق أنهم كانوا أحق بالتمسك بها من غيرهم ، فإنهم كانوا أحوج إلى الصبر على الذلة والاضطهاد وتعليل النفوس بالأماني ، والآمال ، ثم إنهم كانوا أجرأ على الافتراء على الله ، وأحذق في اختراع الأكاذيب وتنميتها ، فتمسكوا بالخرافة ، وجعلوا المهدي منهم ، ووضعوا أحاديث عن النبي في أن المهدي من عترته من ولد فاطمة[1] .

- ١٣٦/١٢ ، ١٨٧ ، ٨٣/١٤ ، ١١١
وانظر كتاب : المهدي والمهدوية لأحمد أمين ، والمهدية في الإسلام للأستاذ سعد حسن .
(١) الحديث رواه أبو داود في سننه ٤٧١/١ ، وابن ماجه ١٣٦٨/٢ ، وسنده حسن ، وهو في المستدرك
بنحوه ٥٥٧/١ .

وذكرنا أن جعفر بن محمد كان يعد أتباعه بقيام قائم منهم لينتقم من أعاديهم ويمنيهم قائلا : « إن دولتنا آخر الدول ، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا : إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء » ، وكان يحدثهم عن ظهور القائم ويلفظ بكل ما توحى إليه أغراضه ، وها أنا آت هنا بنبذة من أقواله :

« إذا قام القائم هدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه ، وحول المقام إلى الموضع الذى كان فيه ، وقطع أيدى بنى شيبة ، وعلقها بالكعبة ، وقال : هؤلاء سراق الكعبة »[1] .

« إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش ، وضرب أعناقهم ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم ، ثم خمسمائة أخرى ، حتى يفعل ذلك ست مرات » . قيل : « أيبلغ عدد هؤلاء هذا ؟ » قال : « نعم ، منهم ومن مواليهم »[2] .

« إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها ، فاستغنى العباد عن ضوء الشمس ، فذهبت الظلمة ، ويعمر الرجل فى ملكه ، حتى يولد له ألف ذكر لا تولد فيهم أنثى ، وتظهر الأرض كنوز ربها حتى يراها الناس على وجهها ، ويطلب الرجل منكم من يصله بماله ويأخذ زكواته لا يجد أحدا يقبل منه ذلك ، استغناء الناس بما رزقهم الله من فضله »[3] .

فترون أن الخرافة قد فتحت للرجل مجالا فسيحا ليتشدق بما يهوى ويشاء ويستهوى بطانته بمواعيد كاذبة ما أنزل الله عليها من سلطان ، ومن عجيب أمره أنه كان قد ألف دعاء (دعاء الندبة) ليقرأه الشيعيون كل يوم جمعة فيبكوا ويندبوا ويتضرعوا إلى الله لكى يعجل قيام القائم :

---

(١) الغيبة للطوسى ص ٢٨٢ ، بحار الأنوار : ٣٣٨/٥٢ .
(٢) الإرشاد للمفيد ص ٤١١ ، بحار الأنوار : ٣٣٨/٥٢ .
(٣) جاء هذا النص بنحو هذا فى : دلائل الإمامة ص ٢٤١ ، والمحجة فيما نزل فى القائم الحجة ص ١٨٤-١٨٥ .

« أين المعد لقطع دابر الظلمة ، أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج ... أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء ، أين الطالب بدم المقتول بكربلا ، بأبى أنت وأمى ونفسى لك الوقاء والحما ... ليت شعرى أين استقرت بك النوى ، بل أى أرض تقلك والثرى ، أبرضوى أم غيرها أم ذى طوى ... » .

وإلى هذا القائم الموعود يشير دعبل فى قصيدته المعروفة حيث يقول :

وما الناسُ إلا حاسدٌ ومُكَذِّبٌ | ومضطغن ذُو إحنة وتراتِ
إلى الحشر حتى يبعث الله قائما | يفرج عنها الهمَّ والكربات
فلولا الذى أرجوه فى اليوم أو غدٍ | لقَطَّع قلبى إثرهُم حسراتى
خروج إمام لا محالة خارجٌ | يقوم على اسم الله والبركاتِ
يميّز فينا كل جور وباطل | ويَجْزى على النعماء والنقماتِ
فيا نفس طيبى ثم يا نفس فابشرى | فغيرُ بعيدٍ كلُّ ما هو آتِ
ولا تجزعى من مدة الجور إننى | كأنى بها قد آذنت بشتاتِ
فإنْ قَرَّبَ الرّحمنُ من تلك مدتى | وأُخِّر فى عمرى ووقت وفاتى
شفيت ولم أترك لنفسىَ ريبة | ورويت منهم منصلى وقناتى[1]

فترون أن الشاعر كان يرى قيام القائم أمرا قريبا ، ويرجو لنفسه درك زمانه ، والجهاد تحت لوائه !

ويظهر أنهم كانوا يرجون قيام قائمهم هذا من جبل رضوى ، تأسيا بالكيسانية الذين كانوا قد رجوا ظهور محمد بن الحنفية منها . وإلى ذلك يشير على بن الجهم[2] الشاعر الناصبى حيث يقول :

---

(١) ديوانه ، ص ٨١ ، ٨٦-٨٧ . بحار الأنوار جـ١٠٢ ص ١٠٧-١٠٨ ، وهو طويل ذكره بتمامه صاحب البحار : من ص ١٠١-١١٠ .

(٢) على بن الجهم القرشى البغدادى ، كان على مذهب الإمام أحمد فى المعتقد واتباع الكتاب والسنة ، توفى سنة ٢٤٩ هـ ، انظر تاريخ بغداد : ٣٦٧/١١ ، مقدمة الديوان لخليل مردم بك ٥-١٩ .

ورافضة تقول بشعب رضوى   إمام خاب ذلك من إمام
إمام من له عشرون ألفا   من الأتراك مشرعة السهام ![1]

ويؤيد ذلك ما أتينا به من جملات دعاء الندبة[2] .

تمازج التشيع والمهدوية

وكان أخلاف جعفر سالكين مسلكه في الوعد بقيام قائم منهم ، والتكلم عن ذاك الوعود ، وعن ظهوره بما يهوون ، فبذلك تأصلت الخرافة بين الروافض وتأكدت ، ثم لما مات الحسن العسكري وكان من عثمان بن سعيد ما كان من دعوى وجود ولد للحسن مختف ، ودعوى الإمامة لذلك الولد المختفي ، ودعوى النيابة عنه لأنفسهم ، زادوا على تلك الدعاوى بأخرى أكبر منها ، وهي أن إمامهم المختفي هو المهدي المنتظر ، والمهدي المنتظر هو إمامهم المختفي ، وأنه يظهر – حين يظهر – بقوة إلهية ، فيقهر الجائرين ، ويبيد الظالمين ويملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورًا .

وأصروا على دعواهم هذه ، واستدلوا عليها بأحاديث كانت موضوعة من قبل ، وبأخرى وضعوها من بعد[3] . وادعو أن النبي كان قد نزل عليه جبرئيل بلوح فيه أسماء الأئمة من عترته ، واحدًا فواحدًا ، وفيه التصريح بمهدوية ولد الحسن العسكري ، وظهوره بعد غيبة طويلة[4] ، وأتوا بأكاذيب كثيرة غيرها .

فبهذه زادوا الإمام المعدوم عند أشياعه رفعة وجلالة ، وملئوا قلوبهم أماني

---

(١) الأغاني ٢٠٥/١٠ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦٦٢/١ ، والديوان (ص ١٢) .

(٢) الدعاء المذكور يدل على الحيرة في أمره وعدم الاستقرار على رأي هل هو برضوى أم غيرها أم بذي طوى ، وفي أخبار لهم أخرى ذكر مواضع غيرها كسرداب سامراء ، وطيبة إلخ .

(٣) سبق أن في أحاديث المهدي أحاديث صحيحة وحسنة كثيرة إلى جانب الضعيف والموضوع منها .

(٤) انظر نصه في كتب الشيعة ، الكافي : ٥٢٧/١–٥٢٨ ، الوافي : المجلد الأول ، جـ ٢ ص ٧٢ ، إكمال الدين ص ٣٠١–٣٠٤ ، أعلام الورى ص ١٥٢ ، الاستبصار ص ١٨ ، ويلاحظ أن كتب الشيعة لم تتفق في نقل هذا الكتاب الإلهي المزعوم – كعادته الكذب – قارن مثلا بين ما جاء في الكافي وما جاء في إكمال الدين .

وآمالا ، ثم إنهم عدوها علة لغيبته ، ولفقوا أقاويل يتشدقون بها ، وها أنا آتٍ بما كتبه بعض علمائهم :

« إن قيل أليس آباؤه عليهم السلام كانوا ظاهرين ، ولم يخافوا ، ولا صاروا بحيث لا يصل إليهم أحد ؟ قلنا آباؤه عليهم السلام حالهم بخلاف حاله ، لأنه كان المعلوم من حال آبائه لسلاطين الوقت وغيرهم أنهم لا يريدون الخروج[1] ولا يعتقدون أنهم يقومون بالسيف ، ويزيلون الدول ، بل كان المعلوم من حالهم أنهم ينتظرون مهديا لهم ، وليس يضر السلطان اعتقاد من يعتقد إمامتهم إذا أمنوهم على مملكتهم ، ولا[2] يخافوا جانبهم ، وليس كذلك صاحب الزمان لأن المعلوم منه أنه يقوم بالسيف ، ويزيل الممالك ، ويقهر كل سلطان ، ويبسط العدل ، ويميت الجور ، ومن هذه صفته يخاف جانبه ، ويتقى فورته ، فيتبع ، ويرصد ، ويوضع العيون عليه ، ويعنى به ، خوفا من وثبته ، ورهبة من تمكنه ، فيخاف ويحوج إلى التحرز والاستظهار بأن يخفى شخصه عن كل من لا يأمنه من ولي وعدو إلى وقت خروجه ، أيضا[3] فآباؤه عليهم السلام إنما ظهروا لأنه كان المعلوم أن لو حدث بهم حادث لكان هناك من يقوم مقامه ، ويسد مسده من أولادهم ، وليس كذلك صاحب الزمان عليه السلام ، لأن المعلوم أن[4] ليس بعده من يقوم مقامه قبل حضور وقت قيامه بالسيف ، فلذلك وجب استتاره ، وغيبته ، وفارق حاله حال آبائه عليهم السلام وهذا واضح بحمد الله »[5]

فترون أنهم قد اخترعوا أكذوبة وصيروها حجة لهم ، ولسائل أن يسأل أي اطلع الخلفاء أو السلاطين على دعاويكم تلك حتى يتم استدلالكم ؟! ألم يكن

---

(١) في الأصل « لا يرون الخروج عليهم » .

(٢) في الأصل « ولم » .

(٣) في الأصل « وأيضا » .

(٤) في الأصل « أنه » .

(٥) الغيبة للطوسي ا . هـ ، المؤلف . هو في ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

أئمتكم يخفون آرائهم ودعاويهم وينكرونها كلما مست الحاجة إلى الإنكار ؟!. ألم يكن عثمان بن سعيد ونوابه يعملون بالتقية ، ويكتمون كل ما لهم من الأقاويل عن غير الروافض من الناس ؟!.. ثم إن إمامكم إن كان قد اختفى لخوفه على نفسه من الخلفاء فلم لم يظهر عندما استولى آل بُوَيْه الشيعيون على بغداد وصيروا خلفاء بنى العباس طوع أمرهم ؟!. فلم لم يظهر عندما قام الشاه إسماعيل الصفوى وأجرى من دماء السنيين أنهارا ؟!. فلم لم يظهر عندما كان كريمخان الزندى وهو من أكابر سلاطين إيران يضرب على السكة اسم إمامكم (صاحب الزمان) ويعد نفسه وكيلا عنه ؟!. وبعد فلم لا يظهر اليوم وقد كمل عدد الشيعيين ستين مليونا وأكثرهم من منتظريه ؟!(1) .

فخلاصة القول أن التشيع امتزج بالمهدوية وكان ذلك تطورًا آخر له .

لِمَ لم يوص السيمرى إلى أحد؟

وأما ما فعل محمد بن على السيمرى حين حضرته الوفاة من ترك الوصية إلى أحد وإغلاق باب البابية فلسنا على بينة من أمره .

والذى يظن أنه خاف من سوء العاقبة ، وعمل بما كان يراه أصلح لأهل نحلته ، فمن البين أن الأبواب كانوا محسودين من نظرائهم من رؤساء الشيعة ، وكان جمع الأموال يثير فتنا كثيرة ، ويبعث غير واحد من الأمناء على المعارضة (كما ذكرنا ذلك) ، ولم يكن فى مقدرة الأبواب إلا إخراج توقيع من الإمام المختفى فى اللعن على المعارضين والحاسدين ، وأمر الشيعة بالتبرء منهم ، وطردهم من بينهم ، وهذا لا يجدى شيئا ، بل ربما زاد فى الطين بلة ، فإن المطرود ربما قام وأفشى ما كان مستورا من الحيل والمخادعات ، كما فعل ذلك محمد بن على الشلمغانى معارض الحسين بن روح (وقد ذكرنا هذا من قبل) . فرأى السيمرى أصلح للشيعة أن يغلق باب البابية ، ويزيل ما كان مثيرا للحسد ، باعثا على الفتن ففعل عندما حضرته الوفاة ما فعل .

---

(1) ولم لا يظهر وقد قامت فى إيران الآن الجمهورية الخمينية التى تدعى لنفسها صفة الإسلام ، وتعتبر نفسها المسؤولة عن أهل الإسلام ، وتنتشر جيوش الدعاة لها فى كل مكان ؟!.

ومما لا ريب فيه أن هؤلاء النواب الأربعة كانوا من أذكياء الرجال (وإن شئت فقل من دهاتهم) يسعون لحفظ التشيع، ولم شعث الشيعة، وحق القول أن التشيع (بالمعنى المراد هنا) أسسه جعفر بن محمد وحفظه من الامحاء[1] أولا عثمان بن سعيد، وثانيا محمد بن على السيمرى.

فكان التشيع بعد موت الحسن العسكرى على شفا جرف هار، فأنقذه عثمان بن سعيد بأقواله وأفعاله العجيبة. ثم لما قامت المعارضات تترى، وكان ما كان من الشلمغانى وغيره أشكل الأمر على الشيعة مرة بعد أخرى، فرفع السيمرى هذا الإشكال بسداد باب البابية.

فلو كان التشيع طريقا للهداية والرشاد لكان هؤلاء الرجال مشكورين يستحقون الثناء، ولكن التشيع ليس إلا طريقا للضلالة والعوج وهؤلاء ليسوا إلا ملومين يستحقون الذم.

ومما لا ريب فيه أن هؤلاء النواب وغيرهم من مقدمى الشيعة كانوا ضعفاء الإيمان بالله وبالنبى ودينه، يدلكم على ذلك اجترازهم على الافتراء على الله والنبى، وجعل الأكاذيب، وتأويل الآيات، وتحريف الأخبار، وإنكار المشهودات، وإحداث البدع، وشق عصا المسلمين، وأخذ الأموال المحرمة من الناس، وتهارشهم عليها.

ولكى يتضح ما كان فى أخذ الأموال من الشناعة نقول: إن الصدقات أو الزكوات كانت للقيام بأمور المسلمين وإدارتها، وقد بين القرآن مواضع صرفها: ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ﴾[2]. فكيف جاز لعثمان بن سعيد أو للحسين بن روح أو غيرهما أن يأخذوها ؟!.

---

(١) الصواب: الإمحاء.

(٢) سورة التوبة، رقم الآية - ٦٠.

كانوا يقولون : « نوصلها إلى الإمام الغايب (فى زق السمن) »[1] ، وهذا القول فيه ما فيه . فأولا ما كان الإمام الغايب إلا اسما بلا مسمى ، وثانيا ماذا كان يفعل الإمام الغايب بالمال وهو معتزل عن الأمور لا يقوم بها ، بل مختف لا يظهر لأحد ؟!. فهل كانت الصدقات حقا للإمام نفسه يصرفها كيف يشاء ؟!.

ويمكن أن يجيبونا قائلين : « إنهم كانوا يجبون سهم الإمام من الخمس ولا يجبون الزكاة » . فنقول أولا : ما الدليل على دعواكم هذه ؟!. ثانيا : إن سهم الإمام لم يكن للإمام لكونه إماما ، بل كان له لكونه قائما بأمور المسلمين مشتغلا بها عن اكتساب الرزق لنفسه ولعياله ، فهل كان الإمام الغايب أو من كان قبله قائما بأمور المسلمين ؟!. ألم يكن أئمتكم قادرين على اكتساب الرزق بالسعى والكد كالآخرين ؟!.

ومما يؤلمنى كثيرا أن الشيعة وصفوا فى كتبهم موسى بن جعفر بالسخاء فقد كتب أبو الفرج « إنه كان إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصرة دنانير ، وكانت صراره ما بين الثلاثمائة إلى المائتين دينار فكانت صرار موسى مثلا »[2] . وكتب : « إنه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فسماها اليسيرة ، فقال له صاحبها وقد أحضره المال لا آخذ هذا النقد ولا آخذ إلا نقدا كذا وكذا . فأمر بذلك المال فرد ، وأعطاه ثلاثين ألف دينار من النقد الذى سئل بعينه »[3] .

فترون أن الرجل كان ذا يسار كثير ، فلسائل أن يسأل قائلا : « من أين كان له تلك الأموال ؟!.. أمن الزراعة أو من التجارة أو من غيرهما ؟!. ألم يكن قد أخذ من الناس ما كان محرما عليه وعلى غيره من آبائه ؟! » . فليجيبونا الشيعيون إن كان لهم جواب .

---

(١) قال الطوسى : « وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبى محمد عليه السلام (الغائب المزعوم) ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبى عمرو (يعنى عثمان بن سعيد) ليجعله فى جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى أبى محمد تقية وخوفا » [الغيبة ص ٢١٤-٢١٥] .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٤٩٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٠٢ .

الفصل الثالث

فى تاريخ التشيع والمهدوية بعد أن تمازجا

فقهاء الشيعة وما يدعون

لما مات السيمرى من غير وصية إلى أحد ، وأخبر أنه قد وقعت الغيبة التامة صارت الشيعة بلا رأس ، فلم يكن لهم من يسوسهم ويتولى أمرهم أو يحتال لهم إن حدث حادث ، إلا أنهم كانوا قد أمنوا التشرد أو الانمحاء ، لأن الاعتقاد بوجود الإمام الغايب ورجاء ظهوره وانتقامه لهم من أعدائهم ، وما كانوا يزعمون للشيعة من الفضل على الآخرين ، وغير هذه من مزاعمهم ، كانت كافية لأن تستهويهم وتثبتهم على ضلالاتهم .

ثم إنهم كان لهم فقه وأخبار وأحكام كما كانت للعامة (أو السنيين) فلم يكونوا يعوزهم شيء .

وفضلا عن كل ذلك قامت رواة الحديث (أو الفقهاء) منهم ، وادعوا النيابة عن الإمام الغائب قائلين : « إن كانت النيابة الخاصة أو البابية قد انتهت فالنيابة العامة لم تنته ، فنحن رواة الحديث نواب الإمام بالنيابة العامة » . فأخذوا بزمام الرئاسة والحكومة واستدلوا على ادعائهم بدلائل :

- منها ما كانوا يروون لهن إمامهم الغايب : « أما فى الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا ، فإنهم حجتى عليكم كما أنا حجة الله عليهم »[1] .

- منها الرواية المروية عن النبى : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل »[2] .

---

(١) الكافى - مع شرحه مرآة العقول - ج ١ ص ٥٥ ، إكمال الدين ص ٤٥١ ، الغيبة للطوسى ص ١٧٧ ، وسائل الشيعة : ١٨/١٠١ .

(٢) ذكره السخاوى فى المقاصد (ص ٤٥٩) برقم - ٧٠٢ - وقال : « قال شيخنا ، ومن قبله الدميرى ، والزركشى : إنه لا أصل له ، زاد بعضهم : ولا يعرف فى كتاب معتبر » . هـ . وشيخه - فيما يظهر - هو الحافظ ابن حجر رحمه الله .

- منها الآية : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾[1] .

فهذه الدلائل ليس فيها ما يدل على الحكومة أو الرئاسة ، بيد أن الروافض كانوا طوع ما يلفقه لهم زعمائهم . فأذعنوا لهم ، وانقادوا لحكومتهم ، فصار كل فقيه يضرب طبل الحكومة (تحت ستار التقية) ، ويأخذ من أتباعه الأموال من الزكاة وسهم الإمام[2] .

فليتعجب المتعجب من أن يكون مآت من الحكام كل واحد مستقل عن الآخرين . فليتعجب من أن يجبى رجال معتزلون مغلولو الأيدى خراجا من الناس !

ونسج هؤلاء على منوال أئمتهم من عد الخلفاء المعاصرين غاصبين للخلافة ، وتمنى الغوائل عليهم ، ومعاداة العامة من المسلمين ، والاشتغال بذمهم ، وثلب أصحاب النبى والقدح فيهم ، والافتراء على الله ، وعلى النبى ، وتأويل الآيات ، وتحريف القصص والأخبار .

وساعدتهم من الحوادث ما كان من ضعف أمر الخلافة ، ونيام القائمين عليها ، وتوالى الفتن فى بغداد ، فتفسح لهم المجال ، وتسهل الأمر ، ثم استولى آل بُويه - وهم من الشيعة الإمامية - على بغداد ، فصار مجالهم أفسح وأمرهم أسهل ، فخرقوا ستار التقية ، وتجاهروا بآرائهم وعقائدهم ، فصاروا يبرزون فى المجالس إلى علماء العامة ويحاجونهم ، بل يفاخرونهم ، ويتطاولون عليهم .

وكان الكرخ فى بغداد محلة للروافض وكانوا قد كثروا فيها ، فأخذوا يبارون العامة فى الاحتفال بالمواسم والأعياد ، وبنوا قببا على قبور أئمتهم فى النجف ، وكربلا ، وفى الكرخ ، وسامرا ، وجعلوها مشاهد ، ومزارات ، واتخذوا إقامة النياحات على الحسين أيام عاشورا سنة لهم .

---

(١) سورة التوبة ، رقم الآية -١٢٢- .

(٢) وعدّوا من لم يدفعها فى حكم الكافرين ، (انظر نصوصهم فى ذلك فى العروة الوثقى لليزدى وبهامشها تعليقات مراجعهم فى هذا العصر) جـ ٢ ص ٣٦٦ .

ثم إنهم كانوا يترقبون ظهور إمامهم الغايب ويصبحون ويمسون وهم يرجون خروجه من السرداب . وقد هجاهم ابن الحجر[1] من علماء العامة وقال :

ما آن للسرداب أن يلد الذى صيرتموه بزعمكم إنسانا
فعلى عقولكم العفاء لقد ثلثتم العنقاء والغيلانا[2]

ومن العجيب ما روى أنهم كانوا قد أقاموا فى الحلة مقاما سموه « مشهد صاحب الزمان » ، أسدلوا عليه ستر حرير ، فكان يخرج كل يوم مائة رجل منهم عليهم السلاح ، وبأيديهم سيوف مشهورة ، فيأتون أمير المدينة بعد صلوة العصر ، ويأخذون منه فرسا ملجما مسرجا أو بغلا كذلك ، ويضربون الطبول ، والأنفار ، والبوقات أمام تلك الدابة ، ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها مثلهم ويمشى آخرون عن يمينها وشمالها ويأتون المشهد ويقفون على بابه ويقولون : « باسم الله يا صاحب الزمان ، باسم الله ، اخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أوان خروجك ، ليفرق الله بك بين الحق والباطل » ، ولا يزالون كذلك وهم يضربون الأطبال والأنفار والبوقات إلى صلوة المغرب[3] ، ويظهر مما كتبه يافوت الحموى[4]

---

(١) يشير إلى ابن حجر الهيتمى وهو أحمد بن محمد الهيتمى المتوفى سنة ٩٧٣ هـ . [انظر فى ترجمته : شذرات الذهب : ٨/ ٣٧٠-٣٧٢ ، البدر الطالع : ١٠٩/١] وقد ذكر ابن حجر هذه الأبيات فى كتابه الصواعق ص ١٦٨ ، لكن ليس ابن حجر أول من قال ذلك فقد ذكره بعض أهل العلم قبل ابن حجر ، كابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ فى كتابه المنار المنيف ص ١٥٢ .

(٢) الصواب : فعلى عقولكم العفاء ، فإنكم .

(٣) وقد ذكر الشيعى أمير على أن الشيعة إلى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى الذى صنف فيه ابن خلدون تاريخه الكبير ، يجتمعون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب سرداب سامراء فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون إلى بيوتهم بعد طول الانتظار وهم يشعرون بخيبة الأمل والحزن [روح الإسلام ، أمير على : ١/ ١١ ، وانظر مقدمة ابن خلدون : ٢/ ٥٢١-٥٢٢ ، المنار المنيف لابن القيم ص ١٥٢ .

(٤) ياقوت بن عبد الله الرومى ، من علماء اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا ، ولد سنة ٥٧٤ ، وتوفى سنة ٦٢٦ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٢/ ٢١٠ ، والأعلام ١٣١/٨ .

وابن بطوطة[١] أنهم قد دأبوا على ذلك مائتين من السنين أو أكثر .

ما ألفوه من الكتب

لما تفسح المجال للشيعة فى المائة الرابعة فى الهجرة قام من بينهم مؤلفون فجمعوا ما كان لهم من الأحاديث والأخبار وتأويل الآيات وقصص أئمتهم وغيرها ، فكانت لهم كتب يتداولونها (من الكافى[٢] والتهذيب[٣] والاستبصار[٤] ومن لا يحضره الفقيه[٥] وغيرها) وازدادت بذلك نحلتهم استحكامًا ، وأنت إن أمعنت النظر فى كتبهم رأيتهم قد اهتموا أشد الاهتمام على إثبات أمور :

١ - الولاية ، وما أدراك ما الولاية ؟ الولاية فى اللغة أن يملك رجل أمور ...[٦] ويقوم بها ، ولكنها عند الروافض بمعنى خاص آخر ، هى عندهم أن الله خلق محمدا وعليا وفاطمة والأئمة من ولد فاطمة قبل أن يخلق العالم بآلاف من السنين ، فأحبهم ، واصطفاهم ، وخلق العالم لأجلهم ، وفرض طاعتهم ، ومحبتهم على الناس أجمعين ، وأنهم كانوا خلفاء الله فى أرضه ، وخزان علمه ، وكانت الأمور مفوضة إليهم ، وأنهم شفعاء الناس يوم القيامة ، وقسام النار والجنة بين شيعتهم وأعدائهم ، هذه هى الولاية . ومن لم يقبلها فليس له دين ولن تقبل منه حسنة . « قال الله تبارك وتعالى ولاية على بن أبى طالب

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد الطنجى ، ولد سنة ٧٠٣ هـ بطنجة ، وطاف البلاد ، وأملى أخبار رحلته على ابن جزى الكلبى ، توفى عام ٧٧٩ هـ . انظر : الدرر الكامنة ١٠٠/٤ ، والأعلام ٢٣٥/٦ .

(٢) الكافى : يعدونه أصح كتبهم فى الرواية ومؤلفه محمد بن يعقوب الكلينى ، (ت ٣٢٨ أو ٣٢٩) ويلقبونه بـ « ثقة الإسلام » مع أن كتابه هذا ملىء بتكفير الأمة وفى مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم ، والطعن فى كتاب الله ، حتى اعترف شيوخهم بأنه كان يعتقد التحريف فى كتاب الله ، وعقب على ذلك الشيخ أبو زهرة بقوله « ولنا أن نقول إن رأينا فيمن ينقل هذا ويؤمن به أنه لا يعد من أهل القبلة » [الإمام الصادق ص ٤٤٠] وانظر عن الكافى : الذريعة ٢٤٥/١٧ ، مستدرك الوسائل ٤٣٢/٣ .

(٣) و (٤) كلاهما لشيخهم الذى يلقبونه بـ « شيخ الطائفة » ، وهما فى أحاديث الأحكام ، ومحاولة إصلاح التناقض الموجود فى رواياتهم ، والثانى مختصر للأول انظر عن التهذيب مستدرك الوسائل ٧١٩/٣ ، وعن الاستبصار الذريعة ١٤/٢ .

(٥) وهو لشيخهم محمد بن بابويه القمى المتوفى سنة ٣٨١ ، وكتابه هذا فى أحاديث الأحكام عندهم يبدأ بكتاب الطهارة .. [انظر : روضات الجنات : ٢٣٠/٦-٢٣٧ ، أعيان الشيعة : ٢٨٠/١] .

(٦) بياض فى المطبوع ، وكأن الكلمة الساقطة هى (غيره) .

حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى »[1] .

٢ ـ خلافة على بعد النبى ، وإثباتها بالآيات من القرآن والأحاديث ، وما كان من أبى بكر وعمر من غصبهما الخلافة ، وظلمهما عليا ، ونزعهما الفدك من يد فاطمة ، وقد بلغت منهم الوقاحة إلى أن عدوا أبا بكر وعمر من المنافقين لم يؤمنوا بالله والنبى ، وقالوا إنهما كانا يخالطان فى الجاهلية اليهود فأخبروهما بما سيكون من قيام نبى من بين العرب واستيلائه على البلاد فلما قام النبى علما أنه هو فأسلما طمعا فى الولاية والمال ، ورووا ذلك عن أئمتهم .

٣ ـ فضل على ومقامه عند الله ، وأنه كان شريك النبى ، لم يعلم الله نبيه علما إلا أمر أن يعلمه عليا[2] وقد أفرطوا فى ذلك إفراطا لا مزيد عليه ، فترون أنهم جعلوا القرآن كديوان شاعر مادح هاج . فكل آية فيها بشارة أو ذكر نعيم جعلوها فى على ، وكل آية فيها إنذار ، أوذكر عذاب جعلوها فى عمر وأبى بكر[3] . « النظر إلى على عبادة ، ولا يقبل إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه »[4] .

٤ ـ الإمامة وأن الأرض لا تخلو من إمام ، ولو خلت لساخت بأهلها[5] ، وأن النبى كان قد نص على الأئمة الاثنا عشر[6] بذكر أسمائهم ، وأوصافهم ،

---

(١) هذا المعنى قد كثر فى أخبارهم انظر على سبيل المثال : بحار الأنوار باب ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنهم أمان من النار ، وقد ذكر فيه (١٥٤) رواية ، جـ ٢٧ ص ٧٣ ـ ١٤٤ ، وباب أن الشيعة هم أهل دين الله ، وهم على دين أنبيائه ولا يغفر إلا لهم ولا يقبل إلا منهم ، جـ ٦٨ ص ٨٣ ـ ٩٦ ، وباب أنه لا تقبل الأعمال إلا بالولاية .. وذكر فيه (٧١) رواية جـ ٢٧ ص ١٦٦ ـ ٢٠٢ .

(٢) انظر أصول الكافى ، باب أن الله عز وجل لم يعلم نبيه علما إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين وأنه كان شريكه فى العلم : جـ ١ ص ٢٦٣ .

(٣) انظر : تفسير العياشى : ٢٤/١ ـ ٢٥ ، مرآة الأنوار ص ٤ ، اللوامع النورانية ص ٥١٨ .

(٤) انظر فى هذا المعنى ، باب أنه لا تقبل الأعمال إلا بالولاية ، من البحار جـ ٢٧ ص ١٦٦ ـ ٢٠٢ ؟ حيث ذكر فى هذا (٧١) رواية ـ كما سلف ـ .

(٥) انظر أصول الكافى ، باب أن الأرض لا تخلو من حجة : ١٧٨/١ ، وبحار الأنوار ، باب الاضطرار إلى الحجة ، وأن الأرض لا تخلو من حجة : ١/٢٣ ـ ٥٦ حيث أورد فيه (١١٦) خبرًا عن الأئمة .

(٦) الصواب : الاثنى عشر .

واحدا فواحدا . بل ذكروا أن الله نزل على النبي لوحا من السماء فيه أسماء الأئمة وأوصيائهم وسموه بلوح الفاطمة[1] (لأن النبي كان قد أهداه إلى فاطمة) ، وقد أفرطوا في هذا الباب إفراطا أدى بهم إلى الكفر والإلحاد . ومجالي هنا أضيق من أن آتي بأمثلة مما ذكروا في كتبهم من الكافي وغيره .

٥ - فضل الشيعة على غيرهم ، وأنهم من طينة خاصة بهم ، خلقوا من فاضل طينة الأئمة ، وعجنوا بماء ولايتهم وأنهم هم الفائزون يوم القيامة[2] . « لا تستخفوا بفقراء شيعة علي[3] وعترته من بعده . فإن الرجل منهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر »[4] . « الناس يغدون على ثلاثة : عالم ، ومتعلم ، وغثاء : فنحن العلماء ، وشيعتنا المتعلمون ، وسائر الناس غثاء »[5] .

٦ - الإمام الغايب ومهدويته ، وأن النبي والأئمة من بعده كانوا قد أخبروا عن غيبته بعد ولادته ، وعن ظهوره حين اشتداد البلاء ، وأنه إذا ظهر ملأ الأرض عدلا وقسطا وبركة ، ورفع عن الناس العاهة والمرض ، وصير قلوبهم كزبر الحديد وحكم في الناس بحكم داود لا يسأل عن بينة ، ومن العجايب ما ذكروا من علامات قرب ظهوره ، فقد أتوا بكل ما أوحت إليهم أوهامهم . من أمور يتمنونها ، وأخرى يتوقعونها ، وأخرى أرادوا بها إعظام الأمر وتهويل السامع ، وأنا آت هنا ببعض ما عدوه :

خروج رجل سفياني ، واختلاف بني العباس في الملك ، وقتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين ، وذبح رجل هاشمي بين الركن

---

(١) انظر خبر اللوح ونصه في كتبهم في الكافي : ١/٥٢٧-٥٢٨ ، إكمال الدين ص ٣٠١-٣٠٤ ، أعلام الورى ص ١٥٢ ، الاستبصار ص ١٨ .

(٢) انظر بحار الأنوار جـ ٦٨ ، باب فضائل الشيعة ص ١-٨٣ ، وباب أن الشيعة هم أهل دين الله .. لا يغفر إلا لهم ولا يقبل إلا منهم ص ٨٣-٩٨ ، وباب الصفح عن الشيعة ص ٩٨-١٤٩ ، وباب صفات الشيعة ص ١٤٩-١٩٩ .

(٣) في المصادر : « بشيعة علي » .

(٤) بحار الأنوار : ٦٨/٧٠ ، أمالي الطوسي : ٢/٢٣١ .

(٥) الخصال : ص ١٢٣ .

والقائم ، وهدم حائط مسجد الكوفة ، وخروج مغربي في مصر ؛ وتملكه الشامات ، ونزول الترك الجزيرة ، ونزول الروم الرملة ، وخلع العرب أعنتها ؛ وقتل أهل مصر أميرهم ، وخراب الشام ، واختلاف ثلاث رايات فيه ، وشق في الفرات حتى يدخل الماء أزقة الكوفة ، وإحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولا وخانقين[1] ، وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة السلام ، وخروج العبيد عن طاعات ساداتهم ، وقتلهم مواليهم ، وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان ، وخسوف القمر في آخره على خلاف العادات ، وركود الشمس من عند الزوال إلى أواسط العصر ، وطلوعها من المغرب ، وطلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ، وحمرة تظهر في السماء ، وتنتشر في آفاقها ، ونار تظهر في المشرق طويلا وتبقى في الجو ثلاثة أيام ، ونداء من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كل أهل لغة بلغته ، وأموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون ويتزاورون[2] .

كيف راج التشيع وانتشر ؟

أما رواج التشيع أو الترفض وانتشاره في البلدان فكانت لهما علل ، فقد رأينا أن التشيع بالمعنى العام (وإن شئت فقل التحزب لأولاد علي) كان قد شاع بين المسلمين ، واستحكم التعصب في كثيرين منهم ، ورأينا أن جعفرا ابتنى آراءه عليه ، فاستفاد مما كان عليه بعضهم من الإفراط في حب علي ، وبغض الآخرين ، وساعده ما انتهت إليه حال الشيعة من الحرمان واليأس والملل وسوء الأخلاق وفساد النية .

ثم إن جعفرا وأخلافه استفادوا من كل ما استطاعوا الاستفادة منه :

استفادوا من قرابتهم إلى النبي واتخذوها ذريعة لهم .

---

(١) مدينتان بالعراق بينهما سبعة فراسخ . انظر : معجم البلدان ٢/١٥٦ ، ٢٤٠ .

(٢) انظر أخبارهم في هذا الباب في الغيبة للطوسي ص ٢٦٥ – ٢٨٠ ، والغيبة للنعماني ، باب ما جاء في العلامات التي تكون قبل قيام القائم .. ص ١٦٥ – ١٨٩ ، الإرشاد للمفيد ، باب علامات قيام القائم ص ١٠٣ وما بعدها .

استفادوا من فضائل على وحسن صيته فى الناس وأدخلوه فى كل ما أدخلوا فيه أنفسهم .

استفادوا من مقتل الحسين وأهله وما كان له من التأثير فى القلوب .

استفادوا من خرافة المهدى وما كان لها من استهواء العقول .

وكان من مغالطاتهم أنهم سموا أتباعهم « شيعة على » ، ولم يكونوا إلا « شيعة جعفر » . وأين كان على الإمام البَرُّ التقى من تلك الفئة الضالة المضلة ؟!

ثم إن التشيع كان يخفف عن كاهل تابعيه ويسهل لهم أمر الدين . فإن الشيعى كان يرى أساس الدين ولاية على ؛ فمن قبلها فقد فاز ونجى وسبق الآخرين لا تضره مع حب على سيئة[1] ، وإنه ليشفع يوم القيمة فى مثل ربيعة ومضر ، فهذه علل رواج التشيع .

ثم لما سكن بعض أخلاف جعفر العراق واتخذوا بغداد أو سامرا مقاما لهم

---

(١) حين قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- « إن أكثر الشيعة يعتقدون أن حب على حسنة لا يضر معها سيئة » [منهاج السنة : ٣١/١] رد عليه بعض شيوخهم وآياتهم فى هذا العصر فقال : « ما نسبه إلى كثير من الشيعة من القول بأن حب على حسنة لا يضر معها سيئة فإنه بهتان منه ، فإنهم جميعا متفقون على ذلك ، لتخصيصه الكثير منهم بهذه العقيدة ليس له وجه سوى الكذب » [محمد مهدى الكاظمى / منهاج الشريعة فى الرد على ابن تيمية : ٩٨/١] فترى أنهم يروجون مذهبهم بهذه المقالة وأمثالها لإغراء أصحاب الشهوات ، واستمالة طلاب التخفف من التكاليف الشرعية وقد أضلوا كثيرًا مع أن بطلان هذه العقيدة واضح لكل ذى عينين ، فهى أسقطت الإيمان بالله ورسوله ، وجميع العقائد الدينية ، وجميع الأحكام الشرعية قال الشيخ السويدى إذا كان حب الله ورسوله غير كاف فى النجاة من العذاب بدون إيمان وعمل صالح فكيف يكون حب على كافيا ، وهذا مخالف لقوله سبحانه ﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ وقوله ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ بل مخالف لأصولهم ورواياتهم ؛ أما المخالفة للأصول ، فلأنه إذا ارتكب رافضى الكبائر ولم يعاقبه الله على ذلك يلزم ترك الواجب على الله تعالى عندهم وأما المخالفة للروايات فلأن عليا والسجاد والأئمة الآخرين قد روى عنهم فى أدعيتهم الواردة عندهم بطرق صحيحة البكاء والاستعاذة من عذاب الله تعالى ، وإذا كان هؤلاء الأئمة الكرام خاشعين خائفين من عذاب الله فكيف يصح لغيرهم أن يغتر بمحبتهم ، ويتكل عليهم فى ترك العمل [نقض عقائد الشيعة ، الورقة : ٣٤-٣٥] .

وجدوا هناك أرضا صالحة لإلقاء البذور ، فإن كثيرا من أهل بغداد وسامرا كانوا من الذين يعجبهم الانفصال عن جماعة المسلمين ، واتخاذ الحجة عليهم والطعن فى مقدميهم .

ويظهر أن بعض الإيرانيين فى العراق كانوا موازرين لرؤساء الروافض ، فإن الإيرانيين كانوا يحسدون العرب ويعادونهم ولا يكرهون التفرق فيهم : ثم إنهم كان لهم أوهام وخرافات ورثوها عن آبائهم . فكان يعجبهم إدخالها فى قلوب المسلمين وضمها إلى عقائدهم ، كما فعلوا ذلك بخرافة المهدى وغيرها مما لا مجال لذكرها هنا .

ومما لا ريب فيه أن الأبواب الأربعة فى بغداد كانت بينهم وبين بعض الإيرانيين صلة قوية ، وقد رأينا أن الثالث منهم ، وهو ابن روح كان إيرانيا .

ومما يجب التنبه عليه العجمة البينة فى بعض أحاديثهم وأدعيتهم الدالة على أن واضعها لم يكن عربيا بل إيرانيا أو غيره من العجم . وقد نبه على ذلك بعض أصحابنا فى رسالة له أرسلها إلى من خونسار ، وكتب فيها ما يأتى :

نقلوا عن السيد بن طاوس[1] أنه سمع صاحب الزمان يناجى الله فى السرداب سحرا[2] ويدعو للشيعة قائلا : اللهم إن شيعتنا خلقوا من شعاع نورنا ، وبقية طينتنا ، وقد فعلوا ذنوبا كثيرة ، اتكالا على حبنا وولايتنا ، فإن كانت ذنوبهم بينك وبينهم فاصفح عنهم فقد رضينا ، وما كان منها فيما بينهم

---

(١) يطلق ابن طاوس – عندهم – على شيخهم على بن موسى بن جعفر بن طاوس الحسنى الحسينى ، يتحدث المترجمون له من الرافضة أنه على صلة بمهديهم الغائب قال شيخهم النورى الطبرسى (ت ١٣٢٠ هـ) فى كتابه مستدرك الوسائل ، ويظهر من مواضع من كتبه خصوصا .. كشف المحجة ، أن باب لقائه إياه صلوات الله عليه كان مفتوحا ، توفى ابن طاوس سنة ٦٦٤ هـ [انظر سفينة البحار جـ ٢ ص ٩٦] ولقد ذكر علماء التاريخ والنسب أن هذا الغائب الذى تدعى وجوده الرافضة من أكثر من أحد عشر قرنا .. لا وجود له فما يدعيه ابن طاوس فى هذا إما كذب [illegible] ، وإما شيطان يتمثل له ليضل الشيعة عن سواء السبيل .

(٢) انظر : مهج الدعوات لابن طاوس ص ٢٩٦ .

فأصلح بينهم وقاص بها عن خمسنا ، وأدخلهم الجنة ، فزحزحهم عن النار ، ولا تجمع بينهم وبين أعدائنا فى سخطك .

فهذا الدعاء لا ريب فى أنه وضعه بعض الإيرانيين . فإن قول « وقد فعلوا ذنوبا » ليس إلا تعبيرا إيرانيا ، والعرب يقول : « أذنبوا » أو « اقترفوا الذنوب » .

ثم هذا الدعاء يرينا ما كان عليه زعماء الروافض من الإهانة لله وسوء المعتقد ، فإن هذا ليس كلام مخلوق للخالق . بل هو كلام آمر لمأمور له يأمره وينهاه . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

كيف راج التشيع فى إيران ؟

وأما رواج التشيع فى إيران فيجب أن يعلم أنه لما قام أولاد على ينازعون بنى مروان الخلافة كان أكثر الإيرانيين يتعصبون للعلويين وذلك « لا لحب على بل لبغض معاوية » ، فكان التشيع بالمعنى العام شائعا فى إيران وهذا هو السر فى التجاء بعض المطرودين من العلويين إلى إيران .

ثم لما قام زيد بن الحسن من الزيدية فى منتصف المائة الثالثة من الهجرة فى طبرستان وبنى حكومة له ولأخيه هناك عم التشيع طبرستان وما يليها ، ولما قام الناصر الكبير فى أوائل المائة الرابعة فى ديلمان أسلم الديلميون والجيليون بيده وكانوا شيعة زيدية ، ولما مات الناصر بعد سنين وقام غير واحد من قواد جنوده يبنى حكومة له فى ناحية من إيران اختلفت أحوالهم ، فكان مرداويج يتعصب للزردشتية[1] ، ويعادى العرب ودينهم ، وكان الكنكريون وهم ملكوا جيلان وآذربايجان وأران وما يليها من الباطنيين (أو الإسماعيليين) ، وكان

---

(١) الزرادشتية : أتباع زرادشت بن بورشب ادعى النبوة ومن مذهبه أن النور والظلمة أصلان متضادان وهما مبدأ موجودات العالم ، وربما جعل النور أصلا ، ويقول إن البارى تعالى هو خالق النور والظلمة ومبدعهما .. لكن الخير والشر والصلاح والفساد إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة ، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم . وله كتاب صنفه ، وقال : إن ذلك نزل عليه وهو « زند أوستا » . انظر : الملل والنحل : ٢٣٦/١ وما بعدها ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٢١ .

أولاد بويه وهم ملكوا العراق وفارس وخوزستان واستفحل أمرهم من الروافض أو الشيعة الإمامية .

وحق القول أن هؤلاء كانوا قد ثاروا على الخليفة يحاربون جنوده . فكانوا في حاجة إلى نحلة تبررهم في أعمالهم ، وتلقنهم حججا ، فاختارت كل فئة منهم نحلة أخرى .

وكان من أعمال آل بويه ما ذكرناه من استيلائهم على بغداد ، ومظاهرتهم للروافض هناك وإخراجهم من تحت ستار التقية .

فكذلك شاع الترفض في إيران ، ولكنه لم يتمكن إلا في بعض البلدان من قم وسبزوار وغيرهما ، فكان الغالب على الإيرانيين التسنن ، ولاسيما أيام السلجوقيين الذين كانوا ملوكا سنيين يتعصبون لأهل السنة .

ثم لما استولت المغول على إيران وكان ما كان من اشتداد ضعف العقول ، وازدياد تزلزل العقائد ، أخذ الترفض يروج فيما يروج فيها من البدع والنحل ، وساعده في الرواج ما كان من ملوك المغول من إطلاق الحرية للناس في مذاهبهم ، ومما كان في أيامهم أن سلطان محمد خدابنده من ملوكهم المسلمين ترفض وضرب أسماء الأئمة الاثنا عشر[1] على السكة وأراد أن يحمل الناس على الترفض ، ولكنهم خالفوه وقاوموه ، ففشل ولم يتم له ما أراد ، وكان خلفه السلطان أبو سعيد من أهل السنة يضرب على السكة أسماء الخلفاء الراشدين .

ولما زال ملك المغول ، وتوالت الفتن في إيران ، قامت في بعض البلدان حكومات شيعية وزاد التشيع رواجا وانتشارا ومهد ذلك السبيل لقيام الشاه إسماعيل الصفوى وقتله السنيين وجعل التشيع (أو الترفض) مذهبا عاما للإيرانيين .

وكان من فظايع الشاه إسماعيل بعثه الناس على ثلب أصحاب النبى

(١) الصواب : الاثنى عشر .

وسبهم . لنتج منه أن نشأت العداوة بين الإيرانيين والعثمانيين ، فقام السلطان سليم العثمانى وهو من الملوك الجزارين يعاكس إسماعيل فى أعماله . لفقتل أربعين ألف رجل ممن عرفوا بالتشيع ، ثم ألف جنودا وسار إلى إيران . فكان ما كان من وقوع المحاربة بينه وبين إسماعيل وما تلتها من محاربات أخرى بين أخلافهما ، فكان من نتائج هذه المحاربات تمكن الترفض فى قلوب الإيرانيين واشتداد العداوة والخصومة بينهم وبين أهل السنة من المسلمين .

السيد محمد المشعشع[1]

وأما ما طرأ على التشيع من التطور فى إيران فله حديث طويل ، ومجالى هنا غير واسع ، فمما لا ريب فيه أنه قد أخذ من الزردشتيين ، والباطنيين ، ومن الفلسفة اليونانية آراء كثيرة . وها أنا آت هنا بالاختصار ، بما قد كان من السيد محمد المشعشع والشيخ أحمد الإحسائى :

ظهر السيد محمد فى زمن الفترة بعد المغول فى خوزستان ، واستولى عليها وما يليها وقد نوهنا باسمه من قبل ، وكان من فقهاء الشيعة ، ومن أشدهم غلوا يدعى لعلى الألوهية ، ويستدل بدليل قد اقتبسه من الباطنيين ، وخلاصة أقواله أن لكل شىء حقيقة وحجابا ، والأصل هو الحقيقة ، وهى ثابتة لا تتغير ، وأما الحجاب فيتغير ويتبدل ، وكان يستنتج أن الحقيقة الإلهية كانت قد حلت فى بدن على لكى يمتحن هل يعرفه الناس أو لا . وإليك بعض جملات منه فى هذا الباب :

---

(١) محمد بن فلاح بن هبة الله المشعشع ولد بواسط وتعلم فى الحلة ، وتفقه فى علوم الشيعة الاثنى عشرية ، وأولع بفنون من الشعوذة فأتقنها ، وخرج إلى بادية خوزستان عام ٨١٠ هـ وجعل يدعى الدعاوى ويقول : « سأظهر ، أنا المهدى » « وسأفتح العالم ... وسأقسم البلاد والقرى بين أصحابى وأتباعى » وسمى شعوذاته « التشعشع » فتبعه بعض الأعراب فسماهم « المشعشعين » واستولى بهم على الحويزة (بين واسط والبصرة) وقاتلته جيوش بغداد ، وكانت الدولة للتركمان فانخذل ثم ظهر سنة ٨٦١ وعظم أمره فامتلك ولاية خوزستان والجزائر وأطاعه أكثر عرب العراق ، وجعل الحويزة قاعدة لسلطنته ، وحتى أهلكه الله سبحانه سنة ٨٦٦ هـ . [انظر : تاريخ العراق بين احتلالين : ٢/١٠٧-١٦٥ ، حوادث الدهور لابن تغرى بردى : ٢/٣٠٥ ، ٣٠٦ (أحداث سنة ٨٦١) ، الفكر الشيعى والنزعات الصوفية ص ٣٠٢ وما بعدها ، الأعلام : ٧/٢٢٤] .

« إن عليا الذى كان بجنب النبى هو السر الدائر فى السماء والأرض » ،

« فلما احتجب السر فى البدن كان ذلك البدن هو الإمام » فهو اللسان واليد والعين والوجه والجنب ، وجعل الله سبحانه طاعته كطاعة الحقيقة المستورة معه ، إذ هو هو وسار بين الناس سيرة الضعيف ليختبر الله الخلق فلم يخلص إلا القليل النادر » .

ومما يتعجب منه أن السيد محمدا ادعى المهدوية لنفسه ، والروافض كما علمنا لا يعتقدون إلا مهدوية إمامهم الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى . فمن التناقض أن يكون رجل رافضيا ويدعى المهدوية لنفسه ، والسر فى هذا هو ما ذكرنا عنه من القول بالحقيقة والحجاب ، فكان ادعائه أن حقيقة الإمام قد حلت فيه .

نعم إنه كان يلفق لنفسه دلائل يناقض بعضها بعضا ، فتارة يعد ظهور محمد ابن الحسن محالا ويستدل ويقول : إن الأئمة الأحد عشر لم يموتوا ، للحديث الوارد : إن المؤمنين لا يموتون ، بل ينتقلون من دار إلى دار ، فإذا كان الأمر كذلك فكل الأئمة أحياء ، فلن يترجح آخرهم بالظهور ، لأنه ترجيح بلا مرجح وهو محال ، فإذا كان ظهوره محالا وجب على الله أن يظهر مقاما له ، وهذا السيد قد ظهر بالنيابة عنه ،

وتارة يعد بظهور الإمام بعد غلبته[1] ويقول : وجب على الله أن يخفى الإمام ويظهر هذا السيد بالنيابة عنه ليقع الاختبار ، إذ لو ظهر محمد بن الحسن العسكرى لانقادت له الشيعة وغيرهم ، ولاسيما إذا نزل عيسى من السماء ، وصلى خلفه ، ولكنه إذا بلغت الدعوى سائر أهل الأرض من المسلمين وسمعتها آذانهم لوجب على الإمام الظهور ، والله لا يخلف الميعاد .

وتارة ينزل نفسه على منزلة الإمام ، بل على منزلة النبى ، ويستدل ويقول : وهذا السيد الذى ظهر هو بمنزلة محمد الذى جاء بنوع الرسالة ، وبمنزلة على

---

(١) الأظهر : بعد غيبته .

الذى قتله ابن ملجم ، وبمنزلة كل نبى وكل ولى .

وللرجل تلفيقات كثيرة دونوها بين دفتين وسموها بكلام المهدى (وعندى نسخة غير كاملة منه) .

واستولى السيد محمد على خوزستان وبعض ما يليها وأسس حكومة هناك . ولما مات خلفه أولاده وأحفاده ، وكانوا يحكمون حتى قام الشاه إسماعيل وتولى أمره . فسار إليهم عام ٩١٤ هـ ووقعت بين الفريقين محاربة شديدة ، انتهت بغلبة الشاه . فاضطر أحفاد السيد محمد أن ينقادوا له ، ويحكموا بالنيابة عنه ، وأما نحلتهم فدامت بينهم أعواما طويلة حتى انمحت ونسيت ، وللسيد محمد وولده المعروف بالمولى على أخبار كثيرة لا محل لذكرها هنا[1] .

الشيخ أحمد الأحسائى[2]

ثم قام فى أوائل القرن الثالث عشر رجل من الفقهاء فى كربلا وأتى فى الترفض بآراء جديدة ، والظن الغالب أنه كان قد طالع كتاب السيد محمد واقتبس من آرائه ، وهذا الرجل هو الشيخ أحمد الأحسائى مؤسس الشيخية[3] ، ومفتتح الباب على

---

(١) للكسروى بعض الكتب التى تعرض فيها للمشعشع وحركته وهى كتاب « مشعشيان » ، وكتاب « تاريخ پانصدساله خوزستان ، خمسة قرون من تاريخ خوزستان » .

(٢) أحمد بن زين الدين ابراهيم الأحسائى البحرانى مؤسس مذهب الشيخية ولد بالأحساء فى رجب سنة ١١٦٦ هـ ، وتوفى قريبا من المدينة سنة ١٢٤١ هـ [انظر : أعيان الشيعة : ٢٩٠/٨ ، أعلام الشيعة : ٨٨/٢ ، معجم الزاهدين : ٢٢٨/١-٢٢٩] .

(٣) وقد يقال لها الأحمدية ، وهم أتباع : الشيخ أحمد الأحسائى (ت ١٢٤١ هـ) وهو من شيوخ الاثنى عشرية ، قال الألوسى -رحمه الله- (عن الأحسائى وأتباعه) « ترشح كلماتهم بأنهم يعتقدون فى أمير المؤمنين على على نحو ما يعتقده الفلاسفة فى العقل الأول » وقد نسب إليه القول بالحلول وتأليه الأئمة ، وإنكار المعاد الجسمانى ، وأن من أصول الدين الاعتقاد بالرجل الكامل وهو المتمثل فى شخصه (انظر عن الشيخية ، نهج السلامة للألوسى ص ١٨-١٩ [مخطوط] مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٢٢ ، دائرة المعارف (الشيعة) : ١٣٦/٢٠ ، محمد حسن آل الطالقانى / الشيخية نشأتها وتطورها ، أعيان الشيعة : ٢٩٠/٨ .

البابية[1] والبهائية[2] . . . . . .

كان الشيخ أحمد شيعيا غاليا يرى كل ما قال الأئمة الاثنى[3] عشر أو قيل عنهم حجة لا يجوز إلا قبوله ، ومع ذلك فلسفيا قحا[4] يحسب آراء أفلاطون وأرسطو حقايق راهنة لا يمكن لأحد ردها .

ومن البين ما بين أقوال الأئمة وآراء أفلاطون وأرسطو من التباعد بل التنافاة ، ولكن الشيخ أحمد جمع بين هاتين ، وأتى بآراء محدثة عجيبة وزاد على طين الترفض بلة . وها أنا آتيكم بمثل من آرائه العجيبة :

قال الفلاسفة : « لا يوجد شيء إلا بعلل أربع : علتان منها داخلتان وهما مادة الشيء وصورته ، وعلتان خارجتان وهما العلة الفاعلية للشيء ، أى فاعلة ، والعلة الغائية له ، أى الفائدة منه ، وبفقدان أحد هذه لا يمكن للشيء الوجود ، مثاله السرير ، فإن له مادة وهو الخشب ، وصورة وهو هيئة السرير ، وفاعلا وهو النجار وغاية وهو الجلوس عليه » .

وقد أخذ الشيخ أحمد هذا القول منهم ، وجمع بينه وبين بعض الأخبار للشيعة وقال : « إن النبى وفاطمة والأئمة الاثنى عشر هم العلل الأربعة لخلق

---

(١) البابية : أتباع الميرزا على محمد الشيرازى (١٢٣٥–١٢٦٥ هـ) وهو من الإمامية الاثنى عشرية ادعى أنه الباب للإمام الذى ينتظرونه وأنه وحده الناطق عنه ، ثم ادعى أنه هو إمامهم الغائب ، ثم زعم أن الله – سبحانه – قد حل فيه ، وله ضروب من الكفر والضلال . انظر : حقيقة البابية والبهائية / محسن عبد الحميد ، تهافت البابية والبهائية / مصطفى عمران ، البابية والبهائية / محمود اللاح ، البابية / إحسان إلهى ظهير .

(٢) البهائية : امتداد للبابية ذلك أن البابية لم تنته بعد هلاك الباب ، بل تطورت على يد أحد أتباعه وهو الميرزا حسن على المازندرانى الذى لقب نفسه بهاء الله ، وسمى أتباعه بالبهائية وادعى كسلفه النبوة والرسالة ، ثم زعم أن الله قد حل فيه ، [انظر عن البهائية : وثائق البهائية / د . عائشة بنت الشاطئ ، البهائية / عبد الله الحموى ، البهائية / إحسان إلهى ظهير ، دراسات عن البهائية والبابية / محب الدين الخطيب] .

(٣) الصواب : الاثنا عشر .

(٤) كأن العبارة : ومع ذلك كان فلسفيا ..

العالم » . أى أن العالم خلق بهم ، ولأجلهم ، ومنهم ، وعلى صورهم ، فصير الأئمة خالقين للعالم . وله ولتلاميذه أقوال رديئة كثيرة فى هذا الباب .

وكان الشيخ أحمد يرى طول عمر الإمام الغائب (المنيف على تسعمائة عام فى زمانه)[1] لا يوافق الفلسفة ، فرفع الإشكال بما كان قد اقتبس من آراء السيد محمد ، فزعم أن محمد بن الحسن العسكرى قد مات ، ولكن الحقيقة الكامنة فيه باقية ستظهر عندما يشاء الله ، هذا ما يفهم من أقواله وأقوال خلفه السيد الرشتى ، ومن أعمالهم .

فمن أقوال الشيخ أحمد : « إن مولاى صاحب الزمان لما خاف من أعدائه فر ، ودخل فى العالم الهورقليائى » . و « هورقليا » من كلمات الشيخ أحمد ويريد بالعالم الهورقليائى عالم الأموات ، فمراده أن صاحب الزمان أو محمد بن الحسن قد مات ، والحال أنه كان يحسبه موجودا وبعد بظهوره فأين هذا من ذاك ؟.. والجواب ما قلناه .

ولما أتى الشيخ أحمد بآرائه هذه كفره الفقهاء من نظرائه ، ولكن الشيخ كان له تلامذة وأتباع كثيرون ، فقام بين الفئتين جدال شديد ، انتهى بين العامة إلى التضارب ، وأريقت فى تبريز دماء ، فتفرقت الروافض إلى فرقتين وسميت أتباع الشيخ أحمد « شيخية » والباقون وهم الأكثر « متشرعة » ، وكان الشيخ أحمد يضرب على أوتار البابية (أو النيابة الخاصة عن الإمام الغايب) ، وينزل نفسه على منزلة عثمان بن سعيد وغيره من الأبواب الأربعة (وإن لم يكن يجاهر بهذا) ويدعى مشافهة الإمام الغايب والآخرين من الأئمة .

---

(١) ولد الأحسائى فى عام ١١٦٦ هـ – وتوفى سنة ١٢٤١ هـ ، والاثنا عشرية تقول بأن مهديها ولد عام ٢٥٥ [انظر : الكافى : ٥١٤/١ ، الإرشاد للمفيد ص ٣٩٠ ، أعلام الورى / للطبرسى ص ٣٩٢] ثم اختفى بعد سبعة أيام [انظر الغيبة للطوسى ص ١٤٢] أو بعد أربعين يومًا [انظر المصدر السابق ص ١٤٤] أو بعد خمس سنين [انظر إكمال الدين ص ١٠٥–١٠٦] .

ولما مات الشيخ أحمد عام ١٢٤٢ من الهجرة خلفه تلميذه السيد كاظم الرشتي وكان أشد غلوا وأحذق تلفيقا ، فأخذ يؤكد آراء أستاذه ، ويسلك مسلكه في دعوى النيابة الخاصة غير مجاهر بها ، وكان يعد بقرب ظهور الإمام ويؤكده ، ويزيد بذلك نار الغواية في قلوب أتباعه ضراما.

الحاج كريمخان[1]

ومن أعماله أنه شرح قصيدة للشاعر العراقي عبد الباقي ، فلأن بعض أبيات القصيدة في مدح علي أتى في شرحها بأقوال رديئة كالهذيان . وها أنا آت بقطعة مما قال :

شاموا السنا من قبلك وعنده وجدوا منار الهدى يشب ويشعل

وكان موسى رسول ، وموسى بن جعفر روحه من الأولية الإلهية الربوبية الذي ليس بشرقية ولا غربية ، وتلك شجرة من شجرة النبوة الطاهرة في الولاية وهي حقيقة المحمدية ... فكان حضرة الأول هي الشجرة البسيطة الوحدانية الإجمالية ، وقال النبي أنا الشجرة المقصود ، فنادى من شجرة مباركة إني أنا الله رب العالمين ، قال النبي أنا المنادي إني أنا الله ... كذا كانت البسملة أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها ، وهي الجامعة لجميع ما في فاتحة الكتاب ، الجامعة لجميع ما في القرآن ، الجامعة لجميع ما في الأناسي الثلاثة ، الإنسان الصغير ، والإنسان الوسيط ، والإنسان الكبير ، وهي المطابقة لاسم الأعظم ، هو زبره وبيناته ، وذلك الاسم الأعظم إذا نزل في العالم التفصيل يكون عليا وهو قوله تعالى ﴿ وهو العلي الكبير ﴾[2] ، ﴿ وهو العلي العظيم ﴾[3] ، وحيث إن الهداية إنما تتم بالولاية .. الاسم الأعظم ، الاسم العلي ، وهو قوله تعالى ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي

---

(١) هو محمد الفجري الكرمالي ، كريمخان وهو على مذهب الشيخية ، ولذلك قال له الحائري : « رئيس الطائفة الشيخية » انظر : مقتبس الأثر ٢٤/٢٧٤-٢٧٥ .

(٢) الآية الكريمة من سورة سبأ ، رقم الآية -٢٣- .

(٣) الآية الكريمة من سورة البقرة ، رقم الآية -٢٥٥- .

حكيم ﴾[1] فاسم العلى ومعناه الإله[2] .

ولما حضرت السيد الرشتى الوفاة لم يوص الى أحد ، وقيل إنه اعتذر بقرب ظهور الإمام بنفسه ، فوقع للشيخية بعده ما وقع للروافض بعد موت الحسن العسكرى ، أى أنهم صاروا بلا رئيس ، وتحيروا فى أمرهم ، فكانوا مضطربين إلى أن يلبوا نداء كل من يقوم وينادى ، فقام من بينهم غير واحد .

قام فى كرمان الحاج محمد كريمخان القاجارى وادعى لنفسه ما ادعاه الشيخ والسيد من النيابة الخاصة عن الإمام ، وخالفه فى تبريز الحاج الميرزا شفيع وكذبه فى دعواه ، فقام بينهم مناقشات وملاغنات ، وبيناهما فى ذلك قام السيد على محمد الشيرازى فى شيراز بدعوى أشد جهارا وأبلغ صيتا ، فإنه ادعى الإمامة نفسها ، فأثارت دعواته الناس ، وأوجدت فى إيران حركة لم يوجد لها مثيل .

فبذلك افترقت الشيخية ثلاث فرق : فرقة تابعوا الحاج الكريمخان (واشتهروا بالكريمخانيين) ، وفرقة شايعوا الحاج الميرزا شفيع (واحتفظوا باسم الشيخيين) ، وفرقة لبوا نداء السيد على محمد (وسموا البابيين) .

وسنبحث عن السيد على محمد على حدته ، أما الحاج كريمخان ، والحاج ميرزا شفيع فدام خلافهما ، فثبت هذا الأخير على ما كان عليه الشيخ أحمد ، والسيد كاظم ، ولم يأت بشىء من عنده ، وأما كريمخان فألف كتبا ، وأتى بآراء حديثة ، فمن تلك أنه جاهر بالنيابة الخاصة عن الإمام ، وجعلها منصبا إلهيا تاليا للنبوة والإمامة ، واستدل عليها بآية : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ﴾[3] ، فالقرية المباركة الإمام ، والقرية الظاهرة النائب عنه .

---

(١) الآية الكريمة من سورة الزخرف ، رقم الآية -٤- .

(٢) وقد طبع كتاب شرح القصيدة ولكنى الآن لا يحضرنى نسخة منه وأثبت بما أثبت من كتاب لميرزا حسين على « جديد الإسلام » .

(٣) سورة سبأ ، رقم الآية -١٨- .

وكان من أقواله : الدين كالبيت ، لا يقوم إلا على أربعة أركان ، وهى الله ، والنبى ، والإمام ، والنايب عنه ، أو الركن الرابع . فبذلك سمى نفسه بالركن الرابع .

ولكريمخان تلفيقات ركيكة فى الأئمة ، وكونهم خالقين رازقين مميتين محيين لا مجال لذكرها هنا ، ولما مات خلفه ولده وبيته اليوم قائم فى كرمان . كما أن بيت الحاج ميرزا شفيع قائم فى تبريز .

السيد على محمد

كان السيد على محمد الشيرازى شابا من تلامذة السيد الرشتى ، ولما مات السيد من غير وصية إلى أحد ، وتحير تلامذته فى الأمر قام السيد على محمد ، وأتى بدعوى عجيبة ، بدعوى ذات وجهين : فإنه أظهر البابية (أو النيابة الخاصة عن الإمام) ومع ذلك أراد الخروج بالسيف كما كان ينتظر من الإمام نفسه ، فسار هو إلى مكة ليجاهر بأمره فيها لما فى الأحاديث من أن المهدى يظهر فى مكة ، وسار الملا حسين البشروئى (وهو أول مؤمن به) إلى خراسان ليجمع الجموع ، ويأتى من هناك بأعلام سود لما فى الأحاديث من أن أنصار المهدى يأتون إليه بأعلام سود من جانب خراسان .

والحق أن الرجل كان متحيرا فى أمره ، قد تمكن فيه الهوى ، فيريد دعوى الإمامة لنفسه (وقد فتح عليه باب تلك الدعوى الشيخ أحمد ، ومهد السبيل له إليها السيد كاظم) ، ولكنه لا يجترئ على التفوه بكلمة الإمام فيتسمى بالباب ، والظاهر أنه كان يظهر الإمامة لمن يراه منقادا غير مناقش ، ويظهر البابية لمن يحسبه مناقشا .

وكيف كان فقد أثارت دعواه الناس ، لأنهم كانوا قد انتظروا ظهور الإمام منذ ألف سنة ، وترقبوه كل صباح ومساء ، ورجوا من ورائه كل خير لأنفسهم ، فلم يكادوا يسمعون بخبر منه حتى قاموا ، وثاروا ، وشخصت أبصارهم إلى جانب شيراز ، وكان أشد الناس حركة الشيخيون ، وذلك لما قد سبق من السيد الرشتى من وعدهم بقرب ظهور الإمام ولما كانوا عليه من الفترة من « الحجج » والتحير فى أمر « الدين » ، فقصده غير واحد من علمائهم

من البلدان واتبعوه ونصروه .

وأما الناس من غير الشيخيين فنكصوا على أعقابهم ، وهدأت ثورتهم ، ولم يتبع الباب إلا قليلون منهم ، وذلك لأمرين : الأول : اعتقادهم بأن المهدى ليس إلا محمد بن الحسن العسكرى ، ولن يكون غيره ، فكان صعبا عليهم الإيمان بمهدوية السيد على محمد الشيرازى ، الثانى : أن السيد على محمد لم يأت بشىء ينفع الناس ويرضيهم ، ولم يكن منه إلا الدعوى ، واتخذ حجة لنفسه تلفيقات له عربية لا تفيد معنى ، فضلا عن اشتمالها بأغلاط نحوية فاضحة ، ولما اعترضوا على أغلاطه هذه أجاب بجواب أشد فضاحة ، فإنه قال : إن « العربية كانت قد أذنبت فقيدها الله بقيود النحو وإنى سألت الله فعفا عنها وحلها من قيودها » ! ولكى تكونوا على بينة من أقواله آتيكم بقطعة مما قد كتب فى تفسير سورة الكوثر وعده من معجزاته :

« فانظر لظرف البدء إلى ما أردت أن أرشحناك من آيات الختم إن كنت سكنت فى أرض اللاهوت ، وقرأت تلك السورة المباركة فى البحر الأحدية وراء قلزم الجبروت ، فأيقن كل حروفها حرف واحدة ، لأن هنالك المقام الفؤاد ، ورتبة مشعر التوحيد ، وإن ذلك هو الإكسير الأحمر الذى من ملكه يملك ملك الآخرة والأولى ، فورب السموات والأرض لم يعدل كلها كتب كاظم عليه السلام ، وقبل أحمد[1] صلوات الله عليه فى معارف الإلهية ، والشئونات القدوسية ، وللكفهرات الأفريدوسية ، بحرف وأنا إذ ألقيت إليك بإذن الله فاعرف قدرها واكتبها بمثل عينيك إلا عن أهلها ، وإنا لله ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون » !

ثم إنه لما تصدت الحكومة له فأخذته من بوشهر بعد عوده من مكة خائبا وجاءت به إلى شيراز وعقدت للبحث عن أمره مجلسًا لم يكن منه إلا الدعاوى الفارغة ، ولم يبد منه إلا الجهل والعجز ، فأمر الحاكم بضربه ، فلما ضرب أظهر الندم واستعفى ، ثم أجبره الحاكم على أن يصعد المنبر فى مسجد حافل

---

(١) يريد الشيخ أحمد ، والسيد كاظم . المؤلف .

بالناس ، فصعد وأظهر التوبة ، وتبرأ عن أقواله ، فسقط بذلك عن أعين الناس .

وقتل السيد علي محمد عام ١٢٦٦ من الهجرة في تبريز بأمر من ناصر الدين شاه ، ولكن البابية دأبوا في مساعيهم ، وكانت منهم أمور لا مجال لذكرها هنا .

ثم قام من البابية الميرزا حسين علي البهاء ، وأسس البهائية ، ولكنه ادعى لنفسه النبوة والألوهية ، فالبهائية وإن كانت قد نشأت من التشيع فهي نحلة على حدتها وما أريد أنا التكلم عنها هنا .

فتم هنا ما كنت أردت من الكلام عن تاريخ التشيع .

الباب الثانى

فيما يجب أن يقال عن التشيع

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فى بطلان التشيع من أساسه .

الفصل الثانى : فيما اشتمل عليه من الدعاوى الكاذبة .

الفصل الثالث : فيما نتج عنه من الأعمال القبيحة .

الفصل الأول

فى بطلان التشيع من أساسه

الإمامة وما فيها : رأينا أن التشيع أو الترفض قد أقيم على ثلاث دعائم : الإمامة ، والخلافة ، والمهدوية ، فيجب أن يقال إن كل هذه الثلاثة باطلة ما أنزل الله عليها من سلطان . وها أنا أتكلم عنها واحدة فواحدة .

١ – الإمامة : كانت الإمامة بالمعنى الذى ادعوها دعوى لا يصحبها دليل . فلسائل أن يسأل : لِمَ لَمْ يُذكر أمر عظيم كهذا فى القرآن وهو كتاب الإسلام ؟! ثم أى عمل قيم عمله إمامكم جعفر (أو أبوه من قبله) حتى يعد رجلا إلهيًا ؟!..

ومن الفضاحة أن ينزل جعفر نفسه على منزلة تالية لمنزلة النبى ، فإن النبى قام من بين العرب وهم جاهلون ، متشتتون ، يعبدون الأوثان ، فأنقذهم من الجهالة والكفر ، وألف منهم أمة واحدة ، وشرع لهم دينا قيما ، وجعفر وأبوه وأخلافهما عاشوا ما عاشوا عاطلين يأخذون أموال الناس ، ولم يأتوا بأمر غير الدعاوى لأنفسهم وإلقاء الخلاف بين المسلمين ، فأين كان هؤلاء من النبى وأين كانت أعمالهم من أعماله ؟![1] ..

---

(١) سبق فى غير موضع تبرئة جعفر ووالده – رحمهما الله – مما افترته الشيعة عليهم وقد غفل المؤلف عن هذا ، فأخذ ما ذكرته رواة الشيعة الكذابون عن هؤلاء الأئمة فأخذ القبول ، مع أنه ليس ممن يحسن الظن بأولئك الرواة ، وقد وقع الظلم على هؤلاء الأئمة مرتين .

الأولى : حين نسب إليهم من الأقوال الشنيعة الشنيعة ما لا يصدر إلا من كافر زنديق ، يلبس لبوس الإسلام ليطعن فيه على التقية .

والثانية : حين جاء من يصدق هذه الأقوال المفتراة ، ويحاكم هؤلاء الأئمة غيابيًا ، وقد قبل منهم أقوال شهود الإثبات ، ولم يقبل منهم أقوال شهود النفى .

وأما قول القائل منهم : « لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة له فيها ظاهر مشهور ، أو غائب مستور ، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة »[1] فكذبه واضح ، نعم إنه زاد كلمة « أو غائب مستور » لئلا يسئل أحد ويقول : « ومن كان الحجة في الزمن الفلاني ؟.. » . ولكن الخرق أوسع مما ظنه الخراصون . فهل كان الحجج كلهم مستورين في آلاف من السنين حتى ظهر الإسلام وظهرت بظهوره الحجج ؟!.. فما كان ينفع وجود حجج لم يظهر أحد منهم ، وكيف كان الله يحتج على الناس بهم ؟!..

وأما قوله : « ينتفع الناس بالغائب المستور ، كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب » فمغالطة واضحة ، فإن الشمس تضيء العالم ، وتوجد فيه الحرارة ، ولو كانت خلف سحاب ، فأين هي من حجة غائب مستور ، لا يعرفه الناس ، ولا تصل أيديهم إليه ؟!.. أرأيتكم إن أخفى رجل الخبز عن أولاده أو أضيافه واستدل بدليل كهذا أكان مصيبا ؟!!

وأما استدلالهم بأنه لو خلت الأرض من إمام لما تم لله على الناس حجة فمما أوحت إليهم أهواؤهم ، وقد أبان كذب هذا الاستدلال موت الحسن العسكري بلا ولد ، وانقطاع حبل الأئمة منهم ، وحسبان الإمام الغائب (المزعوم وجوده) حجة ليس إلا مكابرة .

ثم هذا الاستدلال اجتراء منهم على الله ، فإنه ليس للناس أن يسنوا على الله سنة ويكلفوه بها ، بل عليهم أن يعرفوا سنة الله في خلقه ويتبعوها . وليس من سنة الله بعث الحجج على الناس في كل الأزمنة ، وهذا من المشهودات ، لا يسع أحد إنكاره ، وكفى لله على الناس حجة أن قد وهبهم عقولا يميزون بها الحق عن الباطل ، ويبعث زمنا بعد زمن مبعوثا منهم ينبه العقول ، ويشحذ البصائر ، ويشرع لهم دينا ، وهذه سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

---

(١) بحار الأنوار : ٩٢/٥٢ (وقد مضى) .

ومن العجيب ما أسندوا إلى النبي من التنصيص على الأئمة الاثني عشر واحدا فواحدا ، فإن النبي كان يتبرأ عن علم الغيب جهارا ، وأنتم تقرؤن في القرآن : ﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ﴾[1] ، ﴿ لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ﴾[2] . وأين هذا من ذاك الإسناد ؟!..

الخلافة وما فيها : ٢ - الخلافة : ذكرنا أنهم استدلوا على الخلافة بدلائل ولكن الدلائل واهنة واهية .

فمنها الآية : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾[3] . فهذه الآية دليل عليهم ، لا لهم . فإن البين منها أن الإسلام كان قد أذن للناس أن يولوا على أمورهم رجالا « منهم » ، رجالا يختارونهم من بينهم ، وأين هذا مما استدلوا عليه ؟!..

قالوا : نزلت هذه الآية في على وأولاده من بعده . فأقول : ما الدليل على صدقكم ؟!. وبم تجيبون إن قال قائل إنها نزلت في أبو بكر[4] وعمر وعثمان ، أو نزلت في عباس وأولاده من بعده ؟!. ثم لِمَ لَمْ يسم الله عليا فتكون الآية صريحة لا تحتمل الخلاف ؟!. أكان الله يريد إضلال المسلمين ، وإلقاء الخلاف فيما بينهم ؟!. تعالى الله عما تقولون علوا كبيرا .

قالوا : فسّر النبي الآية بقوله : « أوصيكم بكتاب الله ، وأهل بيتى ، فإنى سألت الله عز وجل أن لا يفرق بينهما حتى يردا علىّ الحوض فأعطانى ذلك »[5] وبغيره من أمثال هذا القول ، فأقول : إن الأخبار فيها ما فيها ، ثم إن

---

(١) سورة الأنعام ، رقم الآية -٥٠- .

(٢) سورة الأعراف ، رقم الآية -١٨٨- .

(٣) سورة النساء ، رقم الآية -٥٩- .

(٤) الصواب : فى أبى بكر .

(٥) روى الإمام أحمد فى مسنده (١٤/٣) عن أبى سعيد مرفوعا : إنى تارك فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض .

« جرت منازعة بين على بن الحسين وبين عمه محمد بن الحنفية فى الإمامة فقال على نتحاكم إلى الحجر الأسود ، فرضى به محمد ، وانطلقا ، فتقدم محمد وابتهل ودعا الله ودعا الحجر الأسود ولكن الحجر لم يجبه ، ثم تقدم على فدعا الله ثم أقبل على الحجر ، وقال : أسألك بالذى جعلك ميثاق الأنبياء ، وميثاق الأوصياء ، وميثاق الناس أجمعين ، لما أخبرتنا بلسان عربى مبين ، فنطق الحجر وقال : اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين بن على لعلى بن الحسين ، فانصرف محمد وهو يتولى على بن الحسين » (روضة الواعظين)[1] .

« استدعى الرشيد رجلا يبطل به أمر موسى بن جعفر عليهما السلام ويقطعه ويخجله فى المجلس ، فانتدب له رجل معزم[2] ، فلما أحضرت المائدة عمل نيموسا[3] (؟) على الخبز ، فكان كلما رام خادم أبى الحسن عليه السلام تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه ، واستفز هرون الفرح والضحك لذلك ، فلم يلبث أبو الحسن أن رفع رأسه على أسد مصور على بعض الستور فقال له : يا أسد خذ عدو الله ، فوثب ذلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع ، فافترس ذلك المعزم فخر هرون وندماؤه على وجوههم مغشيين ، وطارت عقولهم خوفا من هول ما رأوه ، فلما أفاقوا من ذلك بعد حين ، قال هرون لأبى الحسن : أسألك بحقى لما سألت الصورة أن ترد الرجل ، فقال : إن كان عصا موسى رد ما ابتلعه من حبال القوم وعصيهم فإن هذه الصورة ترد ما ابتلعته من هذا الرجل » (روضة الواعظين)[1] .

دعواهم أن الشيعة من طينة خاصة بهم

ومنها دعواهم أن شيعتهم خلقوا من طينة خاصة بهم ، واصطفوا من بين الآخرين ، وأنهم هم الناجون ، والآخرون الهالكون ، والأحاديث فى هذا الباب كثيرة ، أذكر هنا أنموذجا منها :

---

(١) وانظر بحار الأنوار : ٤٦/٢٩–٣٠ ، والخرائج والجرائح ص ١٩٤ (بنحوه) .
(٢) فُسّر بأنه الرجل الذى عنده العزيمة والرقى [بحار الأنوار : ٤٨/٤١ الحاشية] .
(٣) لعله ضرب من السحر .
(١) وانظر : بحار الأنوار : ٤٨/٤١–٤٢ ، أمالى الصدوق ص ١٢٨ ، مناقب ابن شهر آشوب : ٣/١١٧ .

عن الصادق : « إن الله خلقنا من عليين ، وخلق أجسادنا من ذلك ، وخلق أرواح شيعتنا من عليين ، وخلق أجسادهم من دون ذلك ، ومن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم ، وقلوبهم تحن إلينا » . (الكافي)[1] .

عن الصادق : « إنا خلقنا من نور الله ، وخلق شيعتنا من فاضل نورنا »[2] .

عن الإمام الغائب : « إن شيعتنا من خلقوا من فاضل طينتنا ، وعجنوا بماء ولايتنا »[3] .

« روى عن صفوان الجمال أنه قال : « دخلت على الصادق – عليه السلام – فقلت جعلت فداك سمعتك تقول : إن شيعتنا فى الجنة ، وفى الشيعة أقوام يذنبون ، ويرتكبون الفواحش ، ويشربون الخمر ، ويتمتعون فى دنياهم ، فقال : نعم إن الرجل من شيعتنا لا يخرج من الدنيا حتى يبتلى بسقم ، أو بمرض ، أو بدين ، أو بجار يؤذيه ، أو بزوجة سوء ، فإن عوفى من ذلك وإلا شدد الله عليه النزع حتى يخرج من الدنيا ولا ذنب عليه ، فقلت : لابد من رد المظالم ، فقال عليه السلام : إن الله عز وجل جعل حساب خلقه يوم القيامة إلى محمد وعلى ، فكل ما كان من شيعتنا جعلناه من الخمس فى أموالهم ، وكل ما كان بينهم وبين خالقهم استوهبناه لهم ، حتى لا يدخل أحد من شيعتنا فى النار » . (مجالس المؤمنين)[4] .

فهذه الأقوال لا يصحبها دليل ، ومن البين أنها تخالف العقل ، كما أنها تخالف القرآن ، فإن القرآن مصرح بأن أكرم الناس عند الله أتقاهم[5] ، وإن يوم القيامة لا يقبل فيه عدل ولا شفاعة ، والعقل حاكم بأن الله لم يخلق الناس ليخيروا

---

(١) انظر أصول الكافى : ١/٢ (بنحوه) وهو بنصه فى بحار الأنوار : ٢٥/١٢ – ١٣ ، بصائر الدرجات ص ٧ .

(٢) ، (٣) ، (٤) هذه المعانى جاءت فى نصوص كثيرة نجدها فى البحار فى جـ٢٦ ، أبواب خلقهم وطينتهم عليهم السلام ص ١ وما بعدها .

(٥) قال تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ سورة الحجرات ، آية – ١٣ – .

زيدا ، أو يبغضوا عمروًا ، وليس التباغض مما يليق بالله الحكيم[1].

ومن الأحاديث المعروفة عند الشيعة : « حب على حسنة لا تضر معها سيئة »[2] ، وأنتم ترون أنها تخالف القرآن حيث يقول : ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾[3] مخالفة صريحة ، ثم أليس هذا نسخا للدين ؟!. إن كان حب على لا تضر معه سيئة فأى حاجة إذًا لشرع الأحكام ووضع المجازاة ؟!.

ومما لا يمكن غض البصر عنه أنهم وضعوا أحاديث فى فضيلة الشيعة[4] عن النبى : « شيعة على هم الفائزون يوم القيمة »[5] ، « ولا تستخفوا بشيعة على وعترته من بعده ، فإن الرجل منهم ليشفع فى مثل ربيعة ومضر »[6] . أرأيتكم هل كان النبى يسعى لتشتيت شمل المسلمين ؟!. هل كان يريد إلقاء العداوة والخلاف فيما بينهم ؟!. أليس هذا افتراءً على النبى ؟!. أليس هذا افتراءً على الله ؟!. ثم هل كان التشيع (بالمعنى المراد) موجودًا فى زمن النبى ؟!. هل يمكن قبول ذلك ؟!.

وهنا تم ما أردنا بيانه من الدعاوى الباطلة للشيعة وزعمائهم .

---

(1) إلا الحب فى الله ، والبغض فى الله فهو من أوثق عرى الإيمان ، وقد قال تعالى ﴿ فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ آل عمران ، آية -32- وقال : ﴿ إن الله لا يحب المعتدين ﴾ ، البقرة ، آية -190- ، وقال : ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ ، آل عمران ، آية -57- والآيات فى هذا المعنى كثيرة معلومة .

وكذلك محبة بعض المؤمنين بعضًا ، وبغضهم للكافرين هى أثر من طاعتهم لله ، ومحبتهم لما يحب ، وبغضهم لما يبغض ، قال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ سورة الفتح ، آية -29- .

(2) وقد ذكر المجلسى (151) رواية فى باب بعنوان « باب ثواب حبهم وولايتهم وأنهم أمان من النار [جـ 27 ص 73-141] وعقد بابا آخر بعنوان « أن ولايته (يعنى عليا) عليه السلام حصن من عذاب الجبار ، وأنه لو اجتمع الناس على حبه ما خلق الله النار » [جـ 39 ص 22] وجاء فى أخبارهم « لا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين ، ولا يدخل النار إلا من أبغضه من الأولين والآخرين » [علل الشرائع ص 162] وجاء أيضا « وهل الدين إلا الحب » [تفسير العياشى : 1/167 ، بحار الأنوار : 27/95] .

(3) سورة الزلزلة ، آية -8- .

(4) انظر بحار الأنوار ، باب فضائل الشيعة ، وما بعده من أبواب مماثلة له جـ 68 ص 1 وما بعدها .

(5) أمالى الصدوق ص 217 ، بحار الأنوار : 68/9 .

(6) أمالى الطوسى جـ 2 ص 283 ، بحار الأنوار جـ 68 ص 70 .

الفصل الثالث

فيما قد نتج من التشيع من الأعمال القبيحة

القدح في أصحاب النبى

مما يوجب الأسف أن التشيع فضلا عن إضلاله الناس وسوقهم إلى عقائد باطلة ما أنزل الله بها من سلطان ، قد بعثهم على أعمال منكرة كثيرة – أعمال تخالف الدين والعقل والتهذيب ، وتوجب مضار كثيرة من كل نوع ، وها أنا ذاكر في هذا الفصل بعض تلك الأعمال بالاختصار .

فمنها الطعن في أصحاب النبى ، والقدح فيهم ، فقد ذكرنا أن أئمة الشيعة ادعوا أن النبى كان قد نص على الإمام على بالخلافة ، واتهموا أبا بكر وعمر وعثمان بغصب حق على فأخذوا يذمونهم ويطلقون ألسنتهم فيهم ، وبلغ منهم المعاداة إلى أن صاروا يبغضون سائر أصحاب النبى من المهاجرين والأنصار وينسبونهم إلى الارتداد بحجة أنهم كانوا قد بايعوا الخلفاء الثلاثة .

وخلاصة القول أنه صار التبرؤ من أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة وغيرهم جزءا من أعمال الشيعيين وأشغل محلا كبيرا في كتبهم .

ولا ريب أن ذلك من أشنع أعمالهم ، فإن أصحاب النبى من المهاجرين والأنصار صدقوا النبى حين كذبه الآخرون ، ونصروه بأموالهم وأنفسهم فكانوا كراما عند النبى ولاسيما الشيخين (الصديق والفاروق) ، وما نسبوه إليهم من مخالفة وصية النبى ونزع الخلافة من يد على وغير ذلك فلم يكن إلا زورا وبهتانا كما أوضحنا ذلك من قبل .

ثم إن الشيخين لما وليا الخلافة سارا بالمسلمين أحسن سيرة ، وأبديا من السياسة والعدالة والتقوى ما قد حفظه لهما التاريخ ، وراج الإسلام في زمانهما كثيرا .

فمن الشناعة أن يقدح أناس فيهما ، أو يجوزوا اللعن عليهما ، أو ينسبوا الارتداد إلى أصحاب النبى لأنهم قد بايعوهما .

نعم حاد عثمان عن العدل ، وأغضب المسلمين ، وجرى عليه ما جرى ؛ وعصى طلحة والزبير الإمام عليا . ونالا منه ما استحقا ، وحسدت عائشة الإمام وأتت بما يشينها ، بيد أن الإمام عفى عنها وراعى حرمة النبى فيها . أما معاوية فحدّث عن عتوه ولا حرج ، فمما لا ريب فيه أن ابن سفيان كان قد أسلم كرها ففعل بالإسلام ما استطاع فعله[1] .

فهذه حقايق راهنة لا ريب فيها ، ولكن أين هذه مما يزعمها الروافض ويحكونها فى كتبهم ؟! .

ومن العجب أن الشيعة ذموا معاوية لأنه أمر بسب على على المنابر ، وعدوا هذا من قبائح أعماله ، وهم يسبون أبا بكر وعمر وغيرهما ، ولا يرون ذلك قبيحا ، فلسائل أن يسأل : أى فرق بين الأمرين ؟![2] .

وربما أنكروا القبيحة وقالوا : « تلك من عمل العامة الهمج الرعاع » ، وهذا ديدنهم فى كل ما يعجزهم ، ولكن الأمر مما لا ينفع فيه الإنكار ؛ فإن

---

(١) هذه اللوثة مما لم يستطع المؤلف التخلص منه من ثقافته الشيعية ، فحمل على عثمان ، وعائشة ، ومعاوية ، ونسبهم إلى الظلم ، أو إلى الحسد ، أو إلى العتو ، وقد سبق تفنيد بعض مزاعمه فى ذلك ، ولعله يتاح مجال آخر أوسع وأرحب لبيان مواقف الصحابة رضى الله عنهم .

(٢) بل الفرق بينهما عظيم ، فكلام معاوية رضى الله عنه فى على ناتج عن موقف اجتهادى ، ولو كان غيره أولى ... وأصوب ، وكلام الرافضة فى الصحابة ناتج عن حقد على الإسلام دفين .

وكلام معاوية لا يتعدى تخطئة على فى بعض المواقف ، وكلام الرافضة شتم لم يقف عند حد ، وإلصاق لكل ما تعرفه الناس من المخازى بهؤلاء البررة الأطهار ، ومن ذلك رميهم لهم بالكفر والردة والنفاق ، والتآمر على الإسلام ، والفساد ، والطمع فى الدنيا وغير ذلك مما شحنوا به كتبهم ، وسودوا به صفحات كثيرا من دواوين دينهم .

ومعاوية رضى الله عنه لم يعتقد فى على إلا الإيمان والإسلام ، وكان يقول كما فى الطبرى وغيره : لو سلمنى على قتلة عثمان - وكانوا فى جيشه - لكنت أول من يبايعه ، أما الرافضة فتعتقد أن الصحابة ارتدوا إلا ثلاثة أو أربعة منهم ، فأين هذا من هذا ؟؟! هذا إذا سلمنا بدعوى أن معاوية أمر بسب على على المنابر ، فقد ذكر الألوسى أن الخبر فى ذلك مكذوب .

كتبهم منتشرة ، ويرى الناظر فيها أن علمائهم قد أصروا على القبيحة إصرارًا لا مزيد عليه ، وعدوا « التبرء » شرطا لكمال الإيمان ، ومن آرائهم العجيبة أن كل ما أصاب « أهل بيت النبي » من الفشل والحرمان والاضطهاد والقتل كان من نتائج أعمال أبي بكر وعمر ، فترونهم يبغضون هذين أكثر مما يبغضون معاوية ، وابن ملجم ، وابن زياد ، ويزيد . فلا عجب إذا فيما يتلون ويكررون في أيام عاشورا : « اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد ، وآخر تابع له على ذلك » .

ولهذه القبيحة تاريخ مؤلم طويل ، فإنه مما أصل العداوة بين الفريقين ، وأنتج حروبا كثيرة ، أهلكت النفوس ، وخربت الديار ، وهتكت الأستار .

فقد ذكرنا أن شاه إسمعيل لما استولى على إيران وأكره الناس على التشيع وبعثهم على سب أصحاب النبي ، أغضب ذلك المسلمين في سائر البلدان ، فقام سلطان سليم يعادي الشيعيين ، وقتل أربعين ألفا منهم في بلاده ، ثم جهز جيشا ، وحمل على إيران ، وهزم الشاه ، فتأصلت العداوة بين الفئتين ، ودامت أكثر من ثلاثمائة سنة ، وجرت حروب كثيرة ، وكان علماء مكة والمدينة ، قد أفتوا بارتداد الإيرانيين عن الإسلام ، فأجازوا قتل الرجال والنساء ، فكان العثمانيون يسبون من نساء إيران عشرات الآلاف ، ويبيعونهن في أسواق استانبول ، وصوفيا ، وبلكراد . وإن أراد أحد أن يبحث عن الأضرار الناجمة من هذه البدعة المشئومة لاحتاج إلى تأليف كتاب كبير في عدة مجلدات .

التقيّة ومنها التقية ، أي كتم العقائد عن الآخرين ، بل إنكارها إن مست الحاجة إلى الإنكار ، فقد رأينا أن أئمة الشيعة كانوا يخفون آرائهم ودعاويهم عن الناس ، وعن أنسبائهم العلويين ، ولا يبدونها إلا لبطانتهم ، وهم يوصونهم بالكتم والإنكار ، ومن الأقوال المأثورة عن الصادق « التقية ديني ودين آبائي ، فمن تركها قبل ظهور قائمنا فليس منا »(١) .

---

(١) أحاديثهم في التقية كثيرة ذكر منها المجلسي (١٠٩) في باب عقده بعنوان « باب التقية والمداراة » [بحار الأنوار : ٧٥/٣٩٣-٤٤٣] ، وقال شيخهم ابن بابويه في كتابه « الاعتقادات » الذي يسمى -

وقد روى أن المنصور الخليفة العباسي لما بلغه ما عليه جعفر بن محمد من دعوى الخلافة والإمامة لنفسه أمر حاجبه الربيع بإحضاره إلى بغداد فأحضره ، « فلما بصر به المنصور قال : قتلني الله إن لم أقتلك ، أتلحد في سلطاني ، وتبغيني الغوائل ، فقال أبو عبد الله عليه السلام والله ما فعلت ، وإن بلغك فمن كاذب ، ولو كنت فعلت فقد ظلم يوسف فغفر ، وابتلي أيوب فصبر ، وأعطي سليمان فشكر ، فهؤلاء أنبياء الله ، وإليهم يرجع نسبك ... »[1] إلى آخر ما نقلوا .

فترون أن الإمام قد أنكر أمام المنصور كل دعاويه وأكد الإنكار بالحلف بالله ، ولا ريب أن هذا من أشد الذنوب[2] ، ولكن الشيعة لا يعدونه ذنبا ، فترونهم قد نقلوا القصة في كتبهم .

وأغرب منه ما تراه في الكافي في حديث طويل خلاصته أن يحيى بن عبد الله ابن الحسن من العلويين كان يريد القيام على الخليفة ، فدعا موسى بن جعفر إلى الموافقة فلم يجبه موسى ، فغضب يحيى وأرسل كتابا إلى موسى يقول فيه : « قد شاورت في الدعوة للرضا من آل محمد ، وقد احتجبتها ، واحتجبها أبوك من قبلك ، وقديما ادعيتم ما ليس لكم ، وبسطتم آمالكم إلى ما لم يعطكم الله ، فاستهويتم وأضللتم ، وأنا محذرك مما حذرك الله من نفسه » . فأجابه موسى بكتاب يقول فيه : « أتاني كتابك تذكر فيه أني مدع وأبي من قبل ، وما سمعت ذلك مني ، وستكتب شهادتهم ويسئلون ... وأنا متقدم إليك أحذرك معصية الخليفة ، وأحثك على بره وطاعته ، وأن تطلب أمانا لنفسك قبل أن تأخذك الأظفار ، ويلزمك الخناق من كل مكان ، فتروح إلى النَفَس من كل

= « دين الإمامية » : « والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم فمن تركها قبل خروجه فقد خرج من دين الله تعالى وعن دين الإمامية ، وخالف الله ورسوله والأئمة » [الاعتقادات ص ١١٤ - ١١٥] .

(١) انظر : بتمامه في بحار الأنوار : ١٧٤/٤٧ - ١٧٥ ، الإرشاد للمفيد ص ٢٩٠]

(٢) لو أنه حدث من جعفر رضي الله عنه أن يدعي ما نسب إليه ، ثم ينفيه ويتنصل عنه ويحلف على ذلك ، ولكنّ إنكار جعفر وحلفه على ذلك حق مطابق للواقع ، أما كتاب الشيعة فيراح يجرب !.

مكان ولا تجده ، حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ورقة الخليفة - أبقاه الله - فيؤمنك ، ويرحمك ، ويحفظ فيك أرحام رسول الله »[1] .

فيريكم هذا كيف كانوا يخفون دعاويهم الكثيرة ، وينكرونها ، ويتظاهرون بالتعصب لخلفاء العصر ، وإخلاص المودة لهم ، ويحذرون العلويين من إبداء أى مخالفة لهم ، ومن الواضح أن هذا قادح فيهم شائن لهم ، فأين هذا مما كانوا يدّعون من الحجية على العالمين ؟!. وأى حجة من[2] يظهر خلاف آرائه ؟!.

ولكن الكليني[3] (مؤلف الكافي) لم ير فيه قدحا أو شينًا ، فقد نقل القصة[4] وعدها معجزة من أبي الحسن موسى ، وزاد عليها فى آخرها : « قال الجعفرى : بلغنى أن كتاب موسى بن جعفر وقع فى يد هرون فلما قرئ قال : الناس يحملونى على موسى بن جعفر وهو برئ مما يرمى به »[5] .

وأما قبح التقية ومخالفتها للدين والعقل فأوضح من أن يحتاج إلى البحث عنه ، فإنها نوع من الكذب والنفاق وهل يحتاج الكذب والنفاق إلى البحث عن قبحهما ؟!.

إقامة المآتم للحسين

وآخر من قبائح الشيعة ما هو رائج فيهم من ذكر شهادة الحسين وأصحابه ، والبكاء عليهم ، ورفع أصواتهم بالنحيب والزفير ، وإقامة المآتم ، وتأليف العصابات للطواف فى الشوارع والأسواق ، وغير هذه من الأعمال الرديئة .

فمما لا ريب فيه أن الحسين قتل مظلوما مخدوعا ، ولكن أى جدوى لتكرار البكاء والنحيب وإقامة المآتم عليه بعد مضى ألف وثلاثمائة عام ؟!.

---

(١) أصول الكافي : ١/٢٦٦-٢٦٧ ؛ بحار الأنوار : ٤٨/١٦٥-١٦٧ .

(٢) الأقرب : وأى حجة لمن يظهر ..!

(٣) محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ أو ٣٢٩ ، ويلقبونه بـ ثقة الإسلام ، وهو عندهم « أوثق الناس فى الحديث وأثبتهم » (انظر لؤلؤة البحرين ص ٣٨٧) .

(٤) مع أنه يشترط الصحة عنده فيما يرويه فى الكافي (انظر مقدمة الكافي) .

(٥) أصول الكافي : ١/٢٦٧ .

قائلين : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله »[1] .

ومما يُرى لجاج الشيعة أنه قد انقضى منذ ظهور الوهابيين أكثر من مائة وخمسين عاما ، وجرت فى تلك المدة مباحثات ومجادلات كثيرة بينهم وبين الطوائف الأخرى من المسلمين ، وانتشرت رسالات ، وطبعت كتب ، وظهر جليا أن ليست زيارة القبب ، والتوسل بالموتى ، ونذر النذور للقبور ، وأمثالها إلا الشرك ، ولا فرق بين هذه ، وبين عبادة الأوثان التى كانت جارية بين المشركين من العرب فقام الإسلام يجادلها ويبغى قلع جذورها ، يبين ذلك آيات كثيرة من القرآن . فأثرت الوهابية فى سائر طوائف المسلمين غير الروافض أو الشيعة الإمامية . فإن هؤلاء لم يكترثوا بما كان ، ولم يعتنوا بالكتب المنتشرة ، والدلائل المذكورة أدنى اعتناء ، ولم يكن نصيب الوهابيين منهم إلا اللعن والسب كالآخرين . نعم إن الوهابيين أغاروا على كربلاء ، وقتلوا فيها آلافا من الناس ، وخربوا القبور ، ولكن هذا لم يصرف الشيعيين عن عقائدهم ، ولم يقلل عدد الزائرين .

ويجب أن يعلم أن الزيارة (كإقامة المآتم على الحسين) قد راجت وشاعت فى الأزمنة المتأخرة ، بيد أن الأساس أسسه الأئمة أنفسهم . ففى الكتب أحاديث عنهم تحث على الزيارة حثا شديدًا ، وتعد الزائرين مثوبات عظيمة ، فمن تلك الأحاديث : « من زار الحسين فى كربلا كان كمن زار الله فى عرشه »[2] ، ويعتقد الشيعة فى الزيارة ما يعتقدون فى البكاء على الحسين ، أى يحسبونها موجبة لغفران الذنوب ، ودخول الجنة ، ويزعمون أن الملائكة يستقبلون الزوار ، ويبسطون أجنحتهم تحت أقدامهم .

فهذه من أشد الضلالات وأضرها ، لأنها يصرف[3] الناس عن التوجه إلى

---

(١) سورة يونس ، آية -١٨- .

(٢) تهذيب الأحكام : ٥١/٦ ، كامل الزيارات ص ١٧١ ، بحار الأنوار جـ ١٠١ ص ١٠٥ ، بل قالوا -تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا- « أن قبر أمير المؤمنين يزوره الله مع الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون » [بحار الأنوار : جـ ١٠٠ ص ٢٥٨] .

(٣) الصواب : تصرف .

الله تعالى ، وتحول بينهم وبين معرفة سنة الله فى الكون ، ويجعلهم مطمئنين إلى أمور لا أساس لها ، فأنتم ترون أن الشيعيين المخلصين لا هم لأحد منهم إلا اكتساب الأموال والسفر للزيارة ، ترون أنهم لا يعبأون بعمران الأراضى ، ولا باستتباب الأمن ، ولا بمدافعة الأمراض ، ولا بمعاونة الفقراء ، بل لا يعبأون بصحة أولادهم ونسائهم ، ولا يتمنون إلا الزيارة التى يعتقدون فيها خير دنياهم وآخرتهم .

بعض حكايات عن الشيعيين وعندى حكايات توضح ولع الشيعة بالزيارة ، واشتغالهم بها عن كل خير ، أذكر هنا بعضا منها :

وقعت فى شتاء عام ١٣٣٦ مجاعة شديدة فى إيران ، وتابعه أمراض كثيرة . وكانت أزمة الأمور عامئذ بيد الأحرار ، فأقاموا فى المحلات لجنات لإعانة البائسين ، وتقسيم الأرزاق بينهم ، وكنت أنا فى محلتنا رئيس اللجنة ، فكنت أرسل بعض البائسين إلى دور الأغنياء من أنسبائهم ليكلفوهم ، فعلمت غير مرة أن الغنى الفلانى قد طرد البائس من بيته ومات هو جوعا ، وكان بعض هؤلاء الأغنياء يحتكرون الغلات ويبيعونها بأغلى الأثمان ، فكنت أتعجب من قسوتهم ، وكان طريق كربلا مسدودا منذ شهور ، ولما وصل الربيع انفتح الطريق ، فزاد تعجبى لما رأيت هؤلاء القاسين يتأهبون للسفر إلى كربلا ، فكنت أراهم فى المجالس يذكرون ما قصدوا ببشاشة وسرور كثيرين ، ومما اتفق أنى يوما فى مجلس وكان هناك عالم شيعى ، فأخذ بعض الحاضرين يذكرون تأهبهم للسفر ، وأنهم على وشك الرحيل ، فأقبل عليهم العالم ببشاشة وفرح ، وأخذ يمدحهم ويشكرهم وكان مما قال : « فبشرى لكم ، إن الملائكة ينتظرون وصولكم ، وستعطون أجر الجابر الأنصارى الذى كان أول زائر لمشهد الحسين ... » . فأضجرنى قوله فصحت به : « ماذا تقول يا شيخ ؟! هؤلاء هم الذين ماتت جيرانهم جوعا فلم يرحموهم ، فهل تنتظر الملائكة وصول هؤلاء القاسين ؟!! » . فغضب الشيخ من قولى ، وقام مغضبا ، وخرج من المجلس ، وتبعه الآخرون ، وسمعت بعد أيام أنه قد كفرنى وقال : « هو ملحد

لادين له » ، وذلك ديدنهم ، يعدون من لا يعتقد بفضيلة الزيارة أو البكاء ملحدا لا دين له .

ووقعت حكاية أخرى قبل أعوام فى طهران ، وذلك أن رجلا من جيراننا فى تبريز ، زارنى فى دارى ، وكان مما قال : « إن جارنا الفلانى محبوس فى طهران منذ عدة أشهر ، فإنهم اتهموه بتهمة وقبضوا عليه ، وأرساره إلى هنا ، فأرجو أن تسأل أنت عن حاله ، وتسعى إن أمكنك بتخليصه » ، ثم قال : « إن عائلته فى بؤس شديد ، ورب ليلة كنا نسمع بكاء أطفاله من الجوع » . قلت : « سأسأل عنه اليوم وأسعى ما أمكننى لتخليصه » ، فسر من كلامى وشكرنى ، ثم سألته : « ما جاء بك إلى طهران ؟.. » . قال : أريد خراسان ، فإنى ربحت تجارتى فى هذا العام فاكتسبت مالًا ، ورأيت من الواجب على زيارة الإمام الرضا » . فساءنى قوله كثيرا وقلت له موبخا : « ولِمَ لَمْ تعط من مالك أطفال جيرانك الجائعين ؟ فهل كانت زيارة الإمام الرضا أوجب عليك منه ؟! » . فلم يعجبه قولى ، وأخذ يعتذر بأعذار فقال : « إننا مذنبون مسودو الوجوه ، نحتاج إلى شفاعة الأئمة أكثر من كل شيء ، ثم إنى قد شبت ، وابيضت لحيتى ، فخفت أن يأتى أجلى قبل أن أزور الإمام وأكفر عن ذنوبى » !

جعل المعجزات للقبب

ومما يوجب الخجل أنهم يجعلون لتلك القبب معجزات من شفاء المرضى ، وإبراء الأكمه ، والأعرج ، وغير ذلك[1] ، وغير مرة سمعنا وقوع المعجزة الفلانية فى المشهد ، أو فى كربلا ، وادعى كثيرون مشاهدتها بأعينهم ، أو العلم بها من

---

(١) وقد عقد المجلسى جملة من أبواب بحاره لهذا الغرض مثل « الباب التاسع والعشرون ما ظهر عند الضريح المقدس من المعجزات والكرامات » [بحار الأنوار : ٣١١/٤٢] ومثل « الباب الخمسون جور الخلفاء على قبره الشريف وما ظهر من المعجزات عند ضريحه ومن تربته وزيارته » [المصدر السابق : ٣٩٠/١٥] وهكذا يذكر عند الحديث عن كل إمام ، وقد ألفوا فى هذه الخرافات مصنفات ، مثل المعجزات لشيخهم محمد على البادادوى ، جمع فيه المعجزات التى ظهرت - كما يزعمون - عند المشهدين الكاظميين والعسكريين [انظر : الذريعة : ١١٥/٢١] .

قريب ، والحقيقة أنهم لكونهم يحسبون أئمتهم أحياءا لم يموتوا ، ويحسبونهم قادرين على كل شيء ، يرجون من قبورهم المعجزات بل ينتظرونه ، ويحملهم هذا الانتظار على جعل معجزات لها ، وهذا الجعل لا قباحة له عندهم ، بل هم يستحسنونه ، لأنهم يحسبونه سبب استحكام إيمان العامة من الناس .

فإن كلمت أنت علماءهم استدلوا عليك وقالوا : « إن هذه الأمور ممكنة الوقوع من الأئمة فإن نقلها أحد فقد نقل ما يمكن وقوعه ، ولا يعد كاذبا ، وعمله يوجب استحكام إيمان العامة المستضعفين وبأس به »[1] . وقد فتحوا بهذا بابا وسيعا لجعل المعجزات ، ونقل الأكاذيب ، وقول الزور .

وهنا نحتاج إلى كلام طويل لتوضيح ضلال هذه الطائفة عن الدين ، وتوغلهم في الكفر ، ولكن المجال ضيق ولابد لي من الاختصار ، فأرى أن آتي بحكاية من التاريخ ، وأبين ما أريد ضمن الكلام عنها .

في عام ١٢١٦ كان عبد العزيز بن سعود الوهابي قد استولى على مكة والمدينة ، وهدم القبب فيهما ، فأراد أن يستولي على النجف ، وكربلا ، ويزيل ما فيهما من القبب ، والصناديق ، فحمل على النجف بيد أن البلدة كان لها سور منيع ، ودافع الأهلون عنها فلم يتمكن مما أراد ، وانقلب مدحورا ، فأرسل ابنه سعودا فحمل على كربلا ، ولأنها لم يكن لها سور دخلها على حين غفلة من أهلها ، ومعه اثنى[2] عشر ألفا ، فأغاروا على البلدة ، واستولوا عليها (وذلك في يوم الغدير) ونهبوا ما وصلوا إليه ، وهتكوا الحرم ، وفعلوا الأفاعيل ، ودخلوا على المشاهد ، فكسروا الصناديق ، ونبشوا القبور ، وأباحوا القتل في الناس ست ساعات من النهار ، فقتلوا سبعة آلاف (من العلماء ، والفضلاء ، والأكابر ، والأشراف ، والملوك ، والسوقة) ، فكانت مصيبة على الشيعيين عظيمة حركت منهم في إيران ، والهند ، وسائر الأنحاء كل

---

(١) الصواب : ولا بأس به .
(٢) الصواب : اثنا عشر .

ساكن ، وجعلتهم يبرقون ، ويرعدون ويلعنون ، ويشتمون (وكل ذلك بغير جدوى)[1] .

فهذه الواقعة كانت ذات معنى كبير ، فإنها أوضحت أمرين :

الأول – أن تلك القبور والقبب لا تقدر على دفع الضرر عن نفسها ، فكيف يدفعه من الآخرين[2] ، وأن ما زعمته الشيعة فيها لم يكن إلا وهمًا من أوهن الأوهام .

الثاني – أن الأمور لا تجرى إلا بأسبابها الظاهرة ، فإن النجف كان لها سور ، ودافع عنها أهلها فسلمت من الضرر ، وكربلا لم يكن لها سور ، ولم يدافع عنها أهلها فأصيبت بتلك الأضرار الفادحة .

والدين بالمعنى الصحيح هو معرفة حقايق الكون واتباعها ، والانصراف عن غيرها (كما قد قلنا هذا قبلًا) . فالدين أن يعرف كل واحد أن الغيب والصناديق لا تضر الناس ولا تنفع ، وأن الموتى لا صلة لهم بعالمنا ، ولا يقدرون على الإتيان بأى أمر ، وأن الأمور لا تجرى إلا بالأسباب الظاهرية ، ومن الطريق العادى . فهذه وأمثالها من حقائق الكون ، وما شرع الدين إلا لأن يعرف الناس هذه الحقائق وأمثالها[3] .

ولكن الشيعة قد عكسوا الأمر وقلبوه ، وجعلوا من الدين ما يناقض حقائق الكون ، جعلوا من الدين ما لم يكن الدين إلا للانصراف عنه .

فواقعة النجف وكربلا كانت كافية لأن ينبههم[4] من رقدتهم ويرشدهم[5]

---

(١) إن من الواضح فى الصفحات السابقة أن المؤلف يتعاطف مع الوهابيين ، ومع دعوتهم التى هدمت القباب ، ومنعت عبادة القبور ، ويشيد بمعتقداتهم ، فما يعبر به هاهنا مما قد يشتم منه رائحة المحروم عليهم لا يعدو أن يكون نوعًا من المجاملة لمجتمعه وطائفته الشيعية ، وكأنه يريد أن يتبرأ من الولاء للوهابية – كما يسميهم – بإظهار سبهم ، ونسبة السلب والنهب إليهم ، وإظهار شىء من الجزع على البلاد التى وقعت بأيديهم ، دون أن يتحرك الرافضة تحركًا جادًا لإنقاذها .

(٢) الصواب : عن الآخرين .

(٣) انظر ما علقناه سابقًا حول هذا الموضوع فى المقدمة .

(٤) ، (٥) الصواب : لتنبههم ، وترشدهم .

إلى حقيقة الدين ، بيد أن الشيعة لم يكونوا ليتنبهوا وما زادتهم الواقعة ضلالا . فإنهم زادوا عليها حواشي من أكاذيبهم ، وأفرغوها في قالب يوافق أغراضهم ، فإنهم اعتذروا عن مصيبة كربلا قائلين : « قد أكثرنا من الذنوب فأراد الله أن يعاقبنا ، فسلط علينا الكفار ، وكان من شؤم أعمالنا أن أصاب المشاهد المقدسة ما أصاب »[1] ، ورووا أن رجلا من الصالحين رأى في النوم في الليلة التي وقعت الواقعة في صبيحتها أن الإمام الحسين رفع رأسه عن القبر وحول وجهه إلى جانب الوهابيين وخاطبهم قائلا : « أيها الكفرة[1] ، الفجرة » مشيرا بيده إلى أهل كربلا .

وأما واقعة النجف فافتخروا بها ، وعدوها من معجزات الشهداء ، ورووا فيها نوما آخر : « رأى أحد من الصلحاء أمير المؤمنين فيما يرى النائم ، ورأى أن قد اسودت كف يده ، فقال : ولم هذا يا أمير المؤمنين ؟ فأجاب : كنت أرد قنابل المدافع بيدي هذه » .

فليتأمل المتأمل في أمرهم ، ولينظر إلى مبلغ ضلالهم .

نقل الموتى إلى « المشاهد »

وآخر من منكراتهم : نقل الموتى إلى « المشاهد المتبركة » ، فإنهم لا يدفنون الميت حيث يموت ، بل يحملونها من مسافات بعيدة إلى النجف ، أو كربلا ، أو قم ، فيتعفن الجثة ، وتصير جيفة تؤذى الناس برائحته الكريهة ، وتورث الأمراض[2] ، وإذا كانت المسافة أكثر بعدا دفنوا الميت لينبشوه بعد سنة ، أو سنتين ، وينقلوا برفاتها إلى ما قلناه من المشاهد[3] .

فهذا يأباه الدين والعقل كلاهما ، أما الدين فلأن وجوب دفن الميت ليس

---

(١) هكذا هم يعتبرون أهل السنة كفارا ، وقد شهد بذلك شاهد من أهلها ، فكيف ينخدع بعض السلمين بتقيتهم ونفاقهم ؟ وكيف يضعون أيديهم للدعوة إلى التقريب بين السنة والشيعة ؟.

(٢) الأولى أن توحد الضمائر ، للمذكر كلها ، أو للمؤنث كلها ، فيقول :
فتتعفن الجثة ، وتصير جيفة تؤذى الناس برائحتها الكريهة ، وتورث الأمراض .

(٣) الصحيح : وينقلوا رفاته .

إلا لوقاية الناس[1] من أذاه ، وأين هذا من ذاك ؟، وأما العقل فلا يرى فى الأمر نفعا للميت ، ولا للآخرين من الأحياء ، والأموات ، ولا يراه إلا ناجمًا من الجهالة والغواية ، فإنهم يزعمون أن الميت إن دفن فى واحد من المشاهد أمن من عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، وإذا كان يوم القيامة فتحت من قبره باب إلى الجنة ، يدخلها من غير حساب .

وفى كتبهم أحاديث فى أن للجنة أبوابا من النجف ، وكربلا ، وقم .

وكل هذه جهل وغواية أفمن الجدير بالله أن يفرق بين أرض وأرض ؟ ويفضل واحدة على أخرى[2] ؟!. أفمن الجدير به أن يصفح من[3] ذنوب المذنبين لأنهم دفنوا فى جوار القبر الفلانى ؟!. أهذا مبلغ معرفتكم بالله أيها الجاهلون ؟!.

وتارة تراهم يجيبون عن الأمر قائلين : « إن هذا من عمل العامة » ، ولكن غير مجد ، فإن نقل الجنائز إلى النجف ، أو كربلا ، أو قم ، أمر رائج بينهم يوصون به عند موتهم ، سواء فى ذلك خاصتهم ، وعامتهم ، علماؤهم ، وجهلاؤهم . وإذا مات منهم عالم معروف أو أمير مشتهر ، أو تاجر ذو يسار احتفلوا بنقل جنازته ، وشايعه أو استقبله العلماء منهم من غير إنكار .

ثم إن العلماء قد أفتوا بجواز نقل الموتى فى كتبهم ، ويحضرنى الآن جملات من الشيخ جعفر الكبير من كتابه « كشف الغطاء » ، حيث يبحث عن جواز نبش القبور فى موارد عديدة ، ويقول : « ومنها أن يكون ذلك لإيصاله إلى محل

---

(١) هذا قد يكون أحد المقاصد ، لكن لا تحصر الحكمة فيه ، بل ثمت حكم أخرى كتكريم الميت نفسه ، وحمايته من الامتهان ، ومن السباع وغيرها .

(٢) الله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ، فله أن يختار من ملائكته رسلا ، ومن الناس رسلا ، ويصطفى من يشاء لطاعته ، ويفضل بعض البقاع على بعض كما فضل الكعبة ، ومكة ، والمدينة ، وغيرها ، ولكن ليس للعباد أن يدعوا تفضيل بقعة لم يرد فى تفضيلها نص ، لمجرد أنه دفن فيها رجل صالح ، أو ولى ، أو نحو ذلك .

(٣) الصواب : عن .

يرجى فوزه بالثواب، ونجاته من العقاب، كالنقل إلى المشاهد المشرفة، مقابر معالى الأولياء، والشهداء، والصلحاء، والعلماء، وربما كان ذلك من غيره، فيخرجه كلا أو بعضا، عظما أو لحما، أو مجموعا، ولولا الإجماع والسيرة على عدم وجوبه لقلنا بوجوبه فى بعض الحال».

فترون أن الشيخ الكبير يجوز نبش القبر، ونقل الجنازة، كلا أو بعضا إلى المشاهد، بل يرى ذلك أمرا حسنا لولا قيام الإجماع والسيرة على عدم وجوبه لقال هو بوجوبه، وهذا الشيخ من مشاهير علماء الشيعة، ومن فقهائهم.

وأنصح منه ما أتى به الملا محمد على الأردوبادى من علمائهم فى زمانه[1] فى كتاب له سماه «الدعاة الحسينية»، فإنه أتى بسؤال يقول السائل فيه: «ما ينجم عن نقل الجنائز الفاسد. فإن أكثر المكارين يسعون عند رأس الميت لإخفاء الجنائز عن موظفى الجمارك فتراهم يكسرون العظام ويدفونها إلى أن يمكنهم وضعها فى كيس صغير، وإخفاؤها فى زاوية من زوايا الإصطبل أو غيرها من المحال»، وأجاب عن هذا السؤال بقوله: «إن نقل الجنائز قريب الوجوب، وأما ما ذكرت من كسر عظام الميت فلا بأس منه، فإنه أسوة بمولانا على الأكبر نقطعوه إربا إربا»[2].

(١) مات قبل نحو عشرين عاما. المؤلف.

(٢) هذه من شذوذات القوم، فإن الإسلام كرم الإنسان حيا وميتا، فيحرم كسر عظام المسلم الميت كما يحرم كسر عظام المسلم الحى، كما فى قوله ﷺ: «كسر عظم المؤمن الميت ككسره حيا». أخرجه أبو داود ٢/٥٤٤، وابن ماجه ١/٥١٦، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/١٠٨، والبيهقى ٤/٥٨، وأحمد ٦/٥٨، ١٦٨، ٢٠٠، ٢٦٤ عن عائشة رضى الله عنها، وإسناده صحيح، وله شاهد عن أم سلمة عند ابن ماجه ١/٥١٦، وإسناده ضعيف، أو ضعيف جدا. والله تعالى أعلم.

بعض كتب مؤلف هذا الكتاب

إن لمؤلف هذا الكتاب كتبا قيمة أخرى نذكر بعضا منها :

١ - آبين (الطريقة) . هو من أقدم كتبه ، يبحث فيه عن ض
الأوروبيين فى طريق الحياة ، وأن مصير أوروبا إلى الخراب والدمار ، و
الكتاب قد ترجم إلى العربية باسم « الطريقة » وطبع فى القاهرة .

٢ - ورجاوند بنياد (الأساس المقدس) - هو أفضل كتبه ، فإنه قد
فيه عن حقائق الحياة بحثا صافيا ، وبيّن أن الناس لو علموا تلك الحقا
وعملوا بها لتحولت الحياة إلى أحسن ما يكون ، وبحث عن الدين وأرى
بالدلائل أن الدين بالمعنى الصحيح لا غنى للناس عنه ، وليس إزدراء عل
أوروبا بالدين إلا لأنهم لا يعرفون الدين الصحيح ، وليسوا على بينة من
الحياة ، وهذا الكتاب قد ترجم إلى العربية ولما يطبع .

٣ - در بيرامون روان (حول الروح) - وهذا من أفضل كتبه
بحث فيه عن الروح ورد على أتباع الفلسفة المادية ، وخلاصة أقواله أن الر
خاصة بالإنسان ، وهى غير النفس الحيوانية العامة للإنسان والحيوا
فللحيوان الجسد والنفس ، وللإنسان الجسد ، والنفس ، والروح ، وال
مستقلة فى إدراكاتها واقتضاءاتها لا تأثير للبيئة فيها (كما يدعيه أتباع الف
المادية) ، ومما يزيد فى قيمة هذا الكتاب أن المؤلف قد سار فى تأليفه
العلماء ، وأوضح أقواله بالدلائل المتينة العلمية ، ونحن نأمل أن نترجم
الكتاب أيضا إلى العربية ونطبعها [1] .

---

(١) الأقرب : ونطبعه .

فهرس الكتاب